محمد رضا عبد الله

مُنظِف الجرائم

رواية

سبارك للنشر والتوزيع

جريمة قتل

ـ فُتح المحضر اليوم ٢٩ / ١١ / ٢٠٥٣ الساعة ٩,٣٠م من سراي النيابة
نحن / (محمد بهاء السيد الديب) وكيل النيابة
(مصطفى شاهين) سكرتير التحقيق

س : ما هو اسمك وسنك وعملك ومحل إقامتك ؟

ـ ج : أنتم تعرفون كل هذه الإجابات فلِمَ السؤال ؟

ـ نحن نكتب محضر الآن .. وسوف توّقع على أقوالك فى النهاية .. لذا أجب عن الأسئلة مباشرة .. وبدون أية تعليقات سخيفة .

ـ حاضر .

ـ س : ما هو اسمك ؟

ـ ج : شهاب على عثمان أسامة جوده .. واسم الشهرة : شهاب جوده .

ـ س : سنك ؟

ـ ج : واحد وأربعون سنة .

ـ س : عملك ؟

ـ ج : أعمل (م . ج) .

ـ ماذا تعنى ؟

●●●●●

يسيران بخطوات هادئة حتى لا يشعر بهما أحد ..
شاب وفتاة ..

الشاب يدعى (مازن) فى الثلاثينات من عمره والفتاة تدعى (شيري) وقد تجاوزت العشرين منذ شهور قليلة .. ولكن الشاب لا يعلم ذلك .
ولا يعلم اسمها أيضا .

طرق (مازن) ثلاث طرقات متتالية بيده اليمنى على باب الشقة .. بينما

كانت ذراعه اليسرى تحيط بخصر (شيري) وكأنه يخشى أن تفلت منه في أية لحظة .. وفى عينيه نظرة اشتهاء .. قالت (شيري) وهي تلوك قطعة اللادن في فمها الواسع بطريقة مقززة لكنها تحسبها مثيرة :

- ألن تفتح الباب ببصمة يدك ؟

هز رأسه نفيا ثم نقر بسبابته على جهاز صغير مثبت على الحائط أمامه بجوار الباب وقال بضيق :

- معطل .

نظرت (شيري) له بإحباط شديد وزفرت بملل وكأنها تقف هنا منذ أيام طويلة وليس لحظات .. ثم سألته :

- أليس معك مفاتيح ؟

حاول ألا يثير غضبها .. لابد أن تكون بحالة مزاجية جيدة حتى تعطيه أفضل ما لديها .. قال مبتسما :

- هو سيفتح .. إنه ينتظرنا بالداخل .

فهمت أنه يتحدث عن صديقه .. لقد أخبرها أنهما اثنان وأخبرها بالمكان.

هذه هى كل المعلومات التى تحتاجها .

لا أسماء .

ما فائدة الأسماء فى مهنة كمهنتها ؟!

نظرت فى ساعتها الرديئة الرخيصة .. فهى لا ترتدى ساعتها الثمينة أثناء العمل خشية السرقة .. لقد تعلمت الدرس جيدا من تجربة مريرة فى ليلة سابقة .

راحت تراقب العقارب وهى تسير بمشيتها المنتظمة الرتيبة .. تك تيك .. تك تيك .. الوقت ثمين عندها .. كل دقيقة لها ثمنها .. لابد أن تنتهى من عملها هنا بسرعة لتعود إلى مكانها المعتاد منتظرة زبونا آخر .. وربما زبائن آخرين فى تلك الليلة .. بالتأكيد لا تريد إضاعة وقتها هنا فى انتظار فتح الباب .

فكرت فى إعطاء (مازن) مهلة .. لو لم يُفتح الباب خلالها فلسوف تـ ..

وقبل أن تنفذ فكرتها وتهدد بالرحيل سمعت تكة معدنية .. ثم رأت الباب يُفتح ويظهر أمامها (صقر) من داخل الشقة ..

(صقر) صديق (مازن) وشريكه فى السكن .. نفس السن تقريبا .. نفس الطول .. لكنهما يختلفان فى أشياء أخرى .. مثلا (صقر) أوسم بمراحل من (مازن) لكن الأخير أقوى منه .

كل هذا لا يهم (شيرى) .. المهم أنهما اثنان حسب الاتفاق .

لا خداع فى الموضوع .. حتى الآن .

رأى (صقر) الفتاة الشقراء (شيرى) بصحبة صديقه .. تفحص بعينيه قوامها الفتان وملابسها السوداء المثيرة ثم قال بابتسامة سعادة كبيرة :

ـ أهلا بالحبايب .

ثم أفسح لهما المجال للدخول .. قائلا :

ـ ادخلا بسرعة .. قبل أن يلمحكما أحد من الجيران .

دخلا على الفور .. فأطل برأسه من الباب ليتأكد أن الجو أمان .. لا يوجد أى جار فضولى .

أغلق الباب ثم التفت بسرعة إلى (شيرى) التى شرعت تخلع ملابسها بدون تردد أو ذرة من حياء .. سألها مبتسما :

ـ هل أنت متعجلة ؟

لم تهتم بسؤاله .. والتفتت إلى (مازن) تسأله :

ـ أين الحمام ؟

وكأنه صاحب الشقة الوحيد .. أو باعتباره الرجل الذى اتفق معها وأجرت معه محادثة طويلة دامت لدقائق .. هذه الدقائق كافية جدا بالنسبة لها .. طالما أنه وافق على السعر وعلى شروطها .. وهو الذى دفع لها مقدما وهو الذى سيدفع لها باقي أتعابها .

أجابها مشيرا بسبابته :

ـ من هنا .. على يمينك .

سألها (صقر) وعينيه لا تفارقها :

- ألن تكملى هنا ؟

لم تهتم بما قاله واتجهت إلى الحمام حاملة حقيبتها الصغيرة .

عندما اختفت عن ناظريه قال وهو يفرك كفيه فى حماس شديد :

- أنا أولا .

قال (مازن) وهو يجلس على السرير بهدوء :

- أنت تحلم يا صديقى .

اعترض (صقر) قائلا :

- لا .. هذا ما سيحدث .

ابتسم (مازن) فى ثقة وقال :

- قل ما تريد قوله .. ولكنى سأكون الأول .

صاح (صقر) بحدة :

- لماذا تكون الأول دائما ؟

لم يرد (مازن) .. وانهمك فى خلع حذائه .. فقال (صقر) :

- سأكون أنا الأول هذه المرة .

خلع (مازن) الجاكيت الأزرق الذى كان يرتديه وقال :

- لن يحدث هذا أبدا .

غضب (صقر) وقال :

- بل سيحدث .. لن أكون بعدك هذه المرة .. أنا أدفع مثلك .. فلماذا تكون أنت الأول ؟

فك (مازن) رابطة عنقه بعنف وهو يقول :

- لا تنس أننى من أحضرتها .

قال (صقر) معترضا :

- هذا ليس سببا كافيا .

ألقى (مازن) رابطة عنقه على السرير وهو يقول :

ـ هو سبب كاف بالنسبة لى .

صمت (صقر) لثوان عديدة قضاها فى التفكير .. قبل أن يقول :

ـ حسنا .. لنحل هذه المسألة .. سنجعلها هى تختار .. ومن تختاره سيكون الأول .. وأنا متأكد أنها ستختارنى .. لقد رأيت نظراتها لى .. إنها تريدنى بقوة.

لوح (مازن) بسبابته فى وجه (صقر) وقال :

ـ أنا الأول .. لا يوجد كلام آخر .. وإذا تكلمت كثيرا فى هذا الموضوع .. سآخذها ونرحل من هنا .

غضب (صقر) من تهديد (مازن) له .. فصاح بغضب شديد :

ـ على جثتى .. هى لن ترحل أبدا قبل أن ...

ثم أخرج مدية من جيب بنطلونه ولوح بها فى وجه (مازن) وأردف :

ـ أنا لا أمزح .

نهض (مازن) وقال بغضب :

ـ هل أنت مدرك لما تفعله ؟

حاول (صقر) التماسك أمام لهجة (مازن) الغاضبة وقال :

ـ نعم .

قال (مازن) بسخرية :

ـ إبعد هذه قبل أن تصيب بها نفسك يا شاطر .

أدرك (صقر) أنه لا مجال للتراجع .. لقد تهوّر وشهر سلاحه فى وجه صديقه لأول مرة منذ تعارفهما .. فإما أن يستمر فى معركته ويثبت أنه الأقوى والأشجع والأجدر بأن يكون الأول دائما وأبدا فى كل شىء .. أوسيخسر هيبته إلى الأبد ويكون الأخير فى كل شىء أولا يحصل على أى شىء ..

قال محاولا تضخيم صوته :

ـ لا تسخر منى .. أنا جاد جدا فيما أقوله .

وضع (مازن) سبابته على شفتيه وقال :

ـ هُس .. أخفض صوتك .. حتى لا يسمعك أحد الجيران فيعلم بوجودها فيأتى ثالث يقتسمها معنا .

قال (صقر) وقد استولى الشيطان على عقله تماما :

ـ لن يكون هناك ثالث ولا ثان .. سأحظى بها وحدى هذه الليلة !

ضحك (مازن) وقال ساخرا :

ـ وهل ستستطيع يا صغيري ؟!

قال (صقر) وهو يلوح بالمدية :

ـ حذرتك من قبل .. لا تسخر منى .

قال (مازن) بغضب :

ـ إبعدها الآن .. وإلا ستندم .

قبض (صقر) على المدية بقوة أكثر وقال :

ـ أنا لا أمزح يا صديقى .

قال (مازن) بنفاد صبر :

ـ حسنا .. أنت أردت هذا .

وبحركة مفاجئة .. قبض على معصم (صقر) بقوة وخطف المدية منه عنوة ثم قال بثقة كبيرة وابتسامة نصر هائلة :

ـ ما رأيك الآن ؟

شعر (صقر) بخوف كبير يجتاحه وحاول الابتسام قائلا بارتباك :

ـ كنت أمزح معك يا صديقى العزيز .

لوح (مازن) بالمدية قائلا :

ـ لم يبد لى أنه مزاح أبدا .

حاول (صقر) الابتسام مجددا وعينيه تنظر برعب شديد إلى المدية وقال:

ـ لا لا يا صديقى .. أنا لا أفكر أبدا فى إيذائك .. أنت أعز أصدقائى ..

وشريكى فى السكن .. اشترينا هذا الأثاث سويا .. نأكل سويا .. نشرب سويا .. هناك عيش وملح بيننا .. نخرج سويا .. نلعب سويا .. نسهر سويا .. لا يمكن أن أهددك أبدا .. كانت مجرد دعابة .. لا أكثر ولا أقل .

هز (مازن) رأسه بعدم اقتناع .. فتابع (صقر) قائلا :

ـ هل تعتقد حقا أننى لم أكن أمزح ؟ .. يا رجل .. هل هذا معقول ؟

ـ ....

ـ حسنا .. هل تريد إثبات على حسن نواياى ؟ .. سأتركها لك تماما .. لن أكون الأول أوالثانى .. ستكون لك وحدك .. وسوف أغادر الشقة لتكونا على راحتكما .. ما رأيك ؟

فكر (مازن) لبرهة وقال بهدوء :

ـ فكرة ممتازة !

ابتسم (صقر) ابتسامة صفراء قائلا :

ـ كما تريد .. أتمنى لك ليلة ساخنة سعيدة .

واتجه إلى دولاب ملابسه وهو يقول :

ـ سأغير ملابسى وأغادر فورا .. إنها على وشك الخروج .

وفتح باب الدولاب واختار قميصا وبنطلونا وراح يفك أزرار منامته عندما اقترب (مازن) منه وقال :

ـ لا .. انتظر .

سأله (صقر) بقلق شديد :

ـ ماذا ؟

لوح (مازن) بالمدية مرة أخرى وقال :

ـ أريد أن أعطيك شيئا .

قال (صقر) بقلق :

ـ المدية ! .. لا .. خذها .. أنا لا أريدها .. وحتى أثبت لك حسن نيتى .

أجاب (مازن) بغموض :

ـ لا أقصد المدية .

سأله (صقر) بقلق :

ـ ماذا تعنى ؟

قال (مازن) بهدوء قاتل :

ـ أنا أريد أن أعطيك شيئا يُذكرك بالخطأ الذى ارتكبته .. حتى لا تكرره مرة أخرى .

قال (صقر) بكل قلق الدنيا :

ـ ما الذى تعنيه ؟

قال (مازن) ببرود شديد :

ـ مجرد جرح بسيط فى وجنتك .. حتى تتذكر ما فعلته كلما نظرت فى المرآة.

صاح (صقر) بغضب هائل :

ـ هذا كثير !

واندفع نحو(مازن) فجأة .. وقبض على ذراعه التى تمسك المدية وظل يضرب كفه بالحائط حتى أسقطها .. وانحنى بسرعة ليلتقطها ولكن (مازن) ركله بقوة فى وجهه فسقط على الأرض .

حاول (صقر) النهوض فركله (مازن) مرة أخرى .. ثم قفز فوقه وراح يكيل اللكمات له .. كان (صقر) يقاوم بقوة فى البداية ولكن مع توالى اللكمات خارت قواه واستسلم فى النهاية .. نهض (مازن) وقال بغضب :

ـ لقد ارتكبت خطأ كبيرا اليوم يا صديقى .. ويجب أن تتعلم الدرس : لا أحد يمزح مع (مازن) .

وانحنى يلتقط المدية واتجه إلى (صقر) الذى ظل ساكنا كما هو.. جثم فوقه ثم قرّب المدية من وجهه وقال :

ـ هذه لتتذكر الدرس جيدا .. ولا تنساه أبدا .

" ما الذى تفعله ؟ "

صاحت (شيرى) بهذه العبارة فى ذعر عندما خرجت من الحمام ورأت (مازن) جالسا فوق (صقر) يحاول أن يصنع عاهة مستديمة فى وجهه بالمدية التى يحملها بيده .

نظر (مازن) لها وحاول البحث عن تفسير معقول لا يثير ذعرها فتهرب بغير رجعة .. قال :

ـ لا تخافى .. أنا كنت ..

انتهز (صقر) انشغال (مازن) بالحديث مع (شيرى) وقبض على يده وانتزع منها المدية بعناء شديد وألقاها بعيدا .. ثم راح يدفع جسد (مازن) من فوقه .

سقطت المدية عند قدمى (شيرى) فانحنت والتقطتها قائلة بغيظ :

ـ ما الذى تفعلانه ؟

توقفا عن الشجار على الفور ونظرا لها بقلق شديد .. وكل واحد منهما يمد يده نحوها قائلا :

ـ هاتِ المدية .

كانت (شيرى) فى غاية الحيرة والقلق والذعر .. لا تصدق ما رأته .. كانت قد جهزت نفسها فى الحمام واستعدت للخروج لهما عندما سمعت أصواتهما العالية .. قررت أن تنتظر قليلا فربما كانا يتشاجران فى مواضيع خاصة لا يريدان أن يطلعاها عليها .

(لا تتدخلى فى شئون الزبائن الخاصة) قاعدة تعلمتها فى أول يوم من العمل .

لكنها عندما سمعت صوت عراكهما لم تستطع الصبر .. خرجت لتستبين الأمر .. وفوجئت بالمشهد العنيف .

ـ لن يأخذها أحد .. قبل أن أفهم ما الذى يحدث هنا .

قال (صقر) وهو يتجه نحوها :

ـ أعطنى إياها .

صاحت محذرة :

- لا تقترب .

قال (مازن) بغضب :

- إياكِ أن تعطيها له يا بنت الـ (..........) .

لم تبالى بالسُبة البذيئة التى سمعتها .. فلقد سمعت أفظع من ذلك فى ليال ماضية .. السباب البذىء من مفردات حياتها .. تسمعه من القريب والبعيد .. من الحبيب والغريب .. فالبعض يستخدم هذا النوع من السباب كنوع من الإثارة أثناء عملها .

صاحت فيهما :

- لن أعطيها لأحد .. أريد فقط أجرى عن هذه الليلة وسأرحل على الفور .

قال (مازن) بغضب هادر :

- أجر !! أجر عن ماذا ؟ أنتِ لم تفعلى شيئا تستحقين عليه أى أجر .

اقترب (صقر) منها بهدوء وقال :

- أعطنى إياها وسأعطيك أجرك كاملا دون أن أطالبك بفعل أى شىء .

شعر (مازن) أن (صقر) سيستطيع إقناعها بصوته الحنون ورومانسيته الكاذبة .. نظر حوله فلمح الزهرية الثقيلة بجواره على المنضدة .. حملها بيديه القويتين ودفعها بسرعة نحو رأس (صقر) .. فتحطمت عليها تحطيما .. وتهاوى الشاب على الأرض .

صرخت (شيرى) بذعر وهى تنظر إلى (صقر) وهو مضرجا فى دمائه فقال (مازن) لها بحزم :

- أصمتى .. إياك أن تصرخى مرة أخرى .

تركت (شيرى) المدية تسقط من يدها وهبطت على ركبتيها وراحت تنظر إلى (صقر) وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة .. قال لها وهو يتحسس وجهها الناعم:

- أنتِ آلهة الجمال !

وسال دمه بغزارة على الأرض حتى فارقت الروح جسده .. فكتمت (شيرى) صرختها بيدها حتى لا تثير غضب (مازن) الذى بدا شديد الهدوء وكأنه لم

يرتكب جريمة قتل منذ ثوان معدودة .. وكأن ما حدث مجرد كابوس سخيف وسينتهى بمجرد استيقاظه .

قالت (شيرى) وهى تبكى :

. لقد قتلت صديقك !

قال (مازن) بحدة :

. وسوف أقتلك إن لم تصمتى .

راحت تمسح دموعها التى أفسدت زينتها .. وقالت بخوف :

. ماذا ستفعل الآن ؟

أشار إلى باب الشقة وقال :

. إرحلى أنتِ .. وإياكِ أن تذكرى ما حدث هنا لأحد .. وإلا ..

ثم مرر سبابته على رقبته بمعنى أنه سيذبحها .. وفى عينيه نظرات شيطانية تعلن أنه جاد جدا فيما يقوله .

نهضت قائلة فى استسلام :

. لا .. لا .. لن أخبر أحدا .. لا تقلق أبدا .

واتجهت ناحية الباب مسرعة خشية أن يتراجع فى قراره ويفكر فى قتلها حتى لا يترك شهودا على جريمته البشعة .. قالت :

. سأرحل فورا .

سألها متعجبا :

. هل ستخرجين بهذه الملابس !؟

نظرت إلى ما ترتديه .. كان محقا .. كيف ستخرج هكذا وهى لا ترتدى شيئا تقريبا !؟ .. لقد شل تفكيرها بسبب ما رأته منذ دقائق .. قالت وهى تتجه نحوالحمام :

. سأغير ملابسى وأرحل على الفور .

وقبل أن تدخل الحمام رأت (صقر) يمسك محموله ويتصل بأحد .. سألته بخوف :

ـ بمن تتصل ؟ الشرطة ؟ هل ستُسلم نفسك ؟

قال (صقر) بغيظ :

ـ لوأنني أريد تسليم نفسي لماذا طلبت منكِ إذن ألا تخبري أحدا بما حدث هنا ؟ .. ولوأنني أتصل بالشرطة فلماذا أسلم نفسي ؟ أنتِ موجودة هنا ويمكنني أن أخبرهم أنكِ القاتلة .

شعرت (شيرى) بالخوف الشديد منه والقلق على مستقبلها .. وشعرت بالندم أنها سألته أصلا .. قال لها ضاحكا :

ـ لا تقلقى .. لن يعلم أحد بوقوع جريمة هنا .. ولن يعلم أحد أنه مات أصلا .

قالت (شيرى) بشك :

ـ بمن تتصل إذن ؟

أجابها بكل هدوء :

ـ بالمُنظف .

ـ س : عملك ؟

ـ ج : أعمل (م . ج) .

ـ ماذا تعنى ؟

ـ لقد سألتنى عن عملى .. والإجابة هى : ميم .. جيم .. الحرفين الأولين من عملى .

ـ وماذا تعنى (م . ج) بالضبط ؟

ـ ما أريد أن أكونه .. مصمم جرافيك .. مدرس جغرافيا .. مساعد جراح .. ممرض جامعى .. مهندس جيولوجى .. مدير جمعية ..

ـ ما هو عملك الحقيقى ؟

ـ (م . ج) .. مُنظف جرائم .

●●●●●

استدعاء

- س : حالتك الاجتماعية ؟
- ج : أرمل .
- س : هل لديك أبناء ؟
- ج : نعم .. ولد وبنت .

●●●●●

كان (شهاب جوده) يجلس على أحد المقاعد الوثيرة فى حجرة الجلوس بمنزله الواسع عندما كان يشاهد الفيلم الأجنبى (المريخيون قادمون . الجزء السابع) على شاشة تليفزيونه المجسم .

الجزء السابع مثل الجزء السادس ومثل بقية الأجزاء السابقة .. وربما الأجزاء التالية أيضا .. إذا فكروا فى إنتاج المزيد من الأجزاء .. نفس الفكرة .. كوكب الأرض يتعرض للهجوم مجددا على يد المريخيون الأشرار .. الكثير من المعارك الفضائية والخدع البصرية المبهرة .. رائدات الفضاء الحسناوات المثيرات يقاتلن بشراسة تحت قيادة رئيسهم الوسيم فى معارك لا تنتهى ضد المريخيون .. ويُقتل قائد الغزو المريخى فى نهاية الفيلم ليعتقد المشاهد أن السلسلة انتهت عند هذا الجزء .. لكنه يكتشف بعد ذلك أن هناك مريخى جديد قرر إعادة المحاولة فى جزء آخر .

كان (شهاب) يتابع أحداث الفيلم بملل .. فهذه النوعية من الأفلام لا تستهويه لكنه كان مجبرا على المشاهدة لأنه لا يجد شيئا أفضل يشاهده وهو جالسا مع ابنه الصغير .. فهذا الفيلم كان يُعرض على قناة الأفلام الوحيدة التى تعرض الأفلام المناسبة لجميع أفراد الأسرة أو الأفلام الأخرى بعد حذف المشاهد الساخنة منها .. لذا هو يشاهدها مع ابنه وهو فى غاية الاطمئنان .. عكس القنوات الأخرى التى قام بحجبها بكلمة سر .

وليس لديه الآن بال رائق لمشاهدة القنوات الرياضية أو الإخبارية أو العلمية أو الحوارية .. إلخ .

إذا أردنا أن نَصف (شهاب) من الناحية الجسمانية لتصنع له صورة فى مخيلتك .. سنقول أنه يمتلك جسم رياضى ممشوق القوام .. ذو وجه مستطيل بجبهة عالية .. عينيان بنيتان .. وشارب أسود رفيع بنفس لون شعره .

كان ابنه (سمير) ذوالتسع سنوات يجلس على حِجره ومنهمك فى لعب (القتال الدامى) على شاشة هاتفه المحمول .

هل تريد وصفا للابن ؟

إنه طفل .. والأطفال جميعهم يتشابهون فى الشكل .

ما زلت مُصرا على الوصف ؟ .. حسنا .. يمكننا القول أنه يشبه أبيه كثيرا .. ولو حصلت على صورة لـ (شهاب جوده) فى طفولته سوف تعتقد أنها صورة لابنه الآن .

قال الأب :

ـ ألم أنصحك مرارا بارتداء النظارة الواقية أثناء اللعب ؟

لم يهتم الطفل بما قاله أبيه واستمر فى اللعب .. فسأله بجدية :

ـ أين نظارتك ؟

كذب الطفل قائلا :

ـ لقد ضاعت .

سأله مرة أخرى وكأنه يعلم جيدا أن ابنه يكذب .. لقد اعتاد على هذه الأمور معه :

ـ أين نظارتك يا ولد ؟

قال (سمير) باستسلام :

ـ على الكومود بحجرتى .

قال الأب بلهجة غاضبة من إهمال ابنه :

ـ لماذا لا ترتديها ؟

أوقف الطفل اللعبة (إيقاف مؤقت) ثم التفت إلى أبيه قائلا :

ـ لقد قلت لك من قبل .. أنا أكره هذه النظارات العتيقة .. لا أطيق ارتدائها

.. تجعل أصدقائى يسخرون منى طوال الوقت بسببها .

قال (شهاب) محاولا إقناع ابنه بارتداء النظارات :

.ولكنها تحمى عينيك ونظرك .. هل تعلم الخطر الذى يكمن فى شاشة هذا المحمول .. أوشاشة السينما التى بحجرتك أوجهاز الـ ..

قاطعه الطفل قائلا :

. نحن فى عام ٢٠٥٣ .. وما زلت تجبرنى على ارتداء هذه النظارات .. ألم تسمع عن شيئا يدعى الجراحة ؟ .. عمليات (العين الأبدية) ؟ كل أصدقائى أجروا هذه العمليات عندما وُلدوا ليحافظوا على عيونهم للأبد .. ولهذا لا يحتاجون أبدا لارتداء أي نظارات واقية .

قال الأب بلهجة حاسمة :

. أنا لن أعرّضك أبدا لأى جراحة .

حاول الطفل إقناع أبيه قائلا :

. لا تقلق .. إنها عمليات آمنة تماما ولا توجد بها أى نسبة خطر .

مازال (شهاب) مصرا على رأيه .. قال بحنان أبوى :

. أنا أقلق عليك بشدة .. ولن أسمح بحدوث هذا أبدا .

قال (سمير) بعناد طفولى :

. ولكن ..

قاطعه الأب بلهجة حاسمة :

. لا تجادلنى .. إذهب والبس نظارتك إن أردت اللعب .

وقبل أن يعترض الطفل أو يقل حرفا .. انطلق صوت مميز من جيب والده .. قال الطفل بضيق :

. العمل .. مرة أخرى .

كان الطفل يعرف هذا الصوت جيدا ويستطيع تمييزه .. إنه جرس استدعاء لوالده ليذهب إلى عمله فورا .

(ما هو عملك يا أبى ؟) لقد سأله الطفل مرارا هذا السؤال .. وفى كل مرة

كان يجيبه إجابة مختلفة .. والأطفال غالبا لا يفهمون مهن آبائهم أوينسونها.

أما ابنته (سلمى) التى تبلغ العشرين من عمرها عندما كانت تسأله نفس السؤال فكان يجيبها بأنه ممرض فى إحدى المستشفيات ولهذا يأتيه الاستدعاء فى أوقات كثيرة .. ولهذا أيضا لا يمكن أن يتأخر عن عمله أبدا .. ويذهب إليه بمجرد سماعه جرس الاستدعاء .

سأل (شهاب) ابنه وهو ينهض من مكانه :

ـ أين أختك الآن ؟

أجابه على الفور :

ـ فى المطبخ .

قال الأب بلهجة آمرة :

ـ حسنا .. اذهب إلى غرفتك الآن وارتدى نظارتك .. لا تضايق أختك واسمع كلامها .

ـ حاضر .

أطاع الطفل أوامر والده وصعد إلى غرفته بالطابق الثانى .

منزل (شهاب جوده) مكون من طابقين فقط .. فى الطابق الثانى تتواجد غرف النوم .. تصعد إليها عن طريق سلالم داخلية .

قال (شهاب) بصوت واضح وبنبرة معينة :

ـ أغلق التليفزيون .

لم يحدث شىء .

المفروض أن يستجيب التليفزيون لأمره الصوتى .

كرر (شهاب) جملته بهدوء أكثر ..

ـ أغلق التليفزيون .

تمت الاستجابة هذه المرة وانطفأت الشاشة الكبيرة .. تنفس الصعداء وقال :

ـ جيد .. لم يعطلنى هذه المرة .

وتذكر المرة التى أصيب فيها بنزلة برد قوية جعلت صوته يخرج متحشرجا فلم تستطع الآلات فهم أوامره الصوتية فكان يضطر لغلقها يدويا .

إتجه إلى المطبخ .. وجد ابنته منهمكة فى غسيل الأطباق .. سألها متعجبا:

ـ لماذا لا تستخدمى غسالة الأطباق يا (سلمى) ؟

التفتت الفتاة الحسناء إلى أبيها وقالت :

ـ أحب الغسيل اليدوى .. اعتبرها رياضة .. أو عادة عودتنى عليها أمى .

نظر إلى يديها المغطاة برغاوى الصابون وقال :

ـ ولكنى أريدك أن تحافظى على يديك ولا ترهقى نفسك .

ابتسمت ابتسامة صافية جميلة وقالت :

ـ لا تقلق .

ربت على كتفها ثم طبع على جبينها قبلة أبوية وقال بجدية :

ـ أنا خارج للعمل .. هل تحتاجين شيئا ؟

قطبت حاجبيها وقالت :

ـ ولكنى كنت أعد لك القهوة التى تحبها .

وأشارت إلى الموقد الإلكترونى .. فقال لها :

ـ سأشربها عندما أعود .. لابد أن أخرج فورا .

ابتسمت الفتاة وقالت :

ـ سأنتظرك حتى تعود وأطمئن عليك .. وأصنعها لك مرة أخرى .

ـ لا .. سأتأخر .

ظهر الضيق على وجه الفتاة وأطفأت الموقد بالريموت كنترول .

ماذا ؟ تريدون وصفا لابنته (سلمى) ؟ حسنا .. إنها تشبه أمها فى شبابها .. إلى حد كبير .

ماذا ؟ أنتم لم تروا أمها أبدا !

حسنا .. يمكننى أن أصف لكم أمها .. كانت ..

لماذا تقاطعوننى ؟

ماذا ؟ تريدون وصفا للفتاة وليس لأمها ؟

ألم أقل لكما أنهما متشابهتين ؟

حسنا .. حسنا .. لا داعى لكل هذا الإلحاح .

إن (سلمى) شابة .. فى العشرين كما أخبرتكم من قبل .. شقراء طويلة .. وجه مستدير .. عينان خضراوتان واسعتان .. أنف دقيق .. شفاة متوسطة الحجم متناسقة .. دقن صغيرة .. رقبة بيضاء ناعمة ثم .. نكتفى بهذا القدر من الوصف .

قال (شهاب) بلهجة أبوية حازمة :

- أخيك فى غرفته .. انتبهى له .. لا تفتحوا الباب لأى أحد .. إذا شعرت بأى خطر اطلقى جرس الإنذار البدائى واتصلى بى .. لا تستخدمى جرس الإنذار المتطور إلا فى حالة ..

شعور بالملل يجتاحها كمن سمع هذه النصائح آلاف المرات حتى صارت تحفظها أكثر من اسمها .. قاطعت أبيها قائلة :

- (إلا فى حالة الضرورة القصوى) .. أنا أعرف ما ستقوله .. هذه ليست أول مرة .. اذهب لعملك يا أبى .. لا تتأخر أكثر من ذلك .. هناك مريض يعانى الآن ويحتاج مساعدتك .. لا تتأخر عليه .

ابتسم لها ابتسامة هادئة وقال :

- حسنا .. هل تحتاجين شيئا ؟

قبلته من وجنته وقالت :

- شكرا يا أبى .. انتبه لنفسك .

- تصبحين على خير .

- وأنت من أهله .

تركها وذهب إلى غرفة مكتبه ليأخذ حقيبته ويغادر على الفور .

•••••

- س : وما هو معنى (منظف جرائم) ؟

- ج : المجرم بعدما يرتكب جريمته يتصل بى .. أذهب بسرعة إليه لأقوم بتنظيف المكان ومسح أى بصمات .. لا أترك أى شىء يدل على وجوده أو وجود القتيل .. حسب رغبة العميل .. فلو أن مسرح الجريمة مكان يخصه أكتفى بالتخلص من الجثة ومسح آثار الجريمة .. لو أن المكان يخص القتيل أمسح بصمات القاتل وأترك الجثة كما هى .. أو أتخلص منها .. حسب رغبة العميل أيضا .

- س : هل تستطيع التفريق بين بصمات القاتل وبصمات القتيل ؟

- ج : لا طبعا .. لكن القاتل يحدد لى الأماكن التى دخلها أوالأشياء التى مسكها أو لمسها وبالتالى أقوم بمسح البصمات منها بما فيها بصماته وأترك الباقى .

- س : لقد اعترفت أن عملك لم يكن إخفاء أدلة فقط .. ولكن إخفاء جثث أيضا ؟

- ج : نعم .. ولكنى لم أقتل أو أسرق أو أغتصب أو أرتكب أى جريمة .. أنا فقط أنظف .

- التنظيف فى حد ذاته جريمة .

- هذا رأيك أنت .

- س : هل تربح من هذا العمل كثيرا ؟

•••••

أخرج (شهاب) هاتفه الخاص بالعمل من جيب بنطلونه وطلب آخر رقم اتصل به وكان أول سؤال وجهه للمتحدث :

- أين ؟

سؤال مقتضب عن مسرح الجريمة .. أجابه الطرف الآخر قائلا :

- مساكن الشباب .. الشارع التاسع .. برج السعادة الدور الثامن شقة ٨ ب.

استقل (شهاب) سيارته الحديثة وقال بصوت واضح :

- مساكن الشباب .. الشارع التاسع .

ظهرت أمامه خريطة الكترونية على شاشة صغيرة بجوار عجلة القيادة .. عليها نقطة حمراء تبين الهدف .. ونقطة خضراء تبين مكان السيارة الحالى .. ثم صدر صوت أنثوى إلكترونى ناعم من السماعات بداخل السيارة يقول :

- بالسرعة العادية .. سوف تصل خلال ثلاث أيام .

ضحك (شهاب) بقوة قائلا :

- وأنا لن أستخدم السرعة العادية أبدا .. ولن أستخدم الطريق الطويل .

ثم أدار محرك سيارته وانطلق بها ثم قام بتزويد السرعة تدريجيا .. فانطلق الصوت الإلكتروني مرة أخرى يقول :

- بالسرعة الحالية سوف تصل خلال يومين .. بالسرعة الحالية سوف تصل خلال يوم .. بالسرعة الحا .. بالسرعة .. بالسـ .. بالسرعة الحالية سوف تصل خلال ثلاث ساعات .. بالسرعـ .. بالسر .. بالـ .. بالسرعة الحالية سوف تصل خلال عشر دقائق .

صاح (شهاب) وهويتحسس عجلة القيادة بمودة غير طبيعية قائلا بفرح:

- عشر دقائق ! .. هذا هوالكلام !

وراح الصوت الإلكتروني يكمل قائلا :

- .. خلال سبع دقائق إذا اتبعت هذا الطريق المختصر بحيث يكون خاليا .

•••••

عند وصول (شهاب) للمكان المحدد .. انطلق الصوت الإلكتروني يقول :

- لقد وصلت .. حمد لله على السلامة .

ضحك (شهاب) وقال مازحا :

- الله يسلمك يا اختي .

ثم انطلق بكل نشاط وحيوية إلى برج السعادة .. وصعد إلى الدور الثامن شقة ٨ ب .. وأمام باب الشقة اتصل على العميل وقال :

- أنا أمام الشقة الآن .

كان العميل هو(مازن) الذى رد عليه قائلا :

- حسنا .. سأفتح لك الباب فورا .

وبمجرد أن فتح الباب رأى (شهاب) أمامه فقال مندهشا :

- ما هذا ؟

*****

مهمة تنظيف

قال (مازن) وهويحدق فى وجه (شهاب) :

.ما هذا ؟

أجابه (شهاب) وهو يدخل الشقة :

.إنه قناع .

أغلق (مازن) الباب وهويسأله :

.ولماذا ترتدى قناع ؟

لمح (شهاب) الجثة فاتجه إليها على الفور .. انحنى ليلقى نظرة عليها دون أن يخلع نظارته السوداء .. وقال مجيبا على سؤال (مازن) :

.من الأفضل ألا ترى وجهى .. ومن الأفضل لك أيضا ألا أرى وجهك .

قال (مازن) مبتسما :

. أنا لا أقلق من هذه الناحية .. وليس السبب هو أننى أثق بك .. ولكن لأننى أعيش هنا .. وطالما أنك جئت هنا فصرت تعرفنى ويمكنك أن تعرف بعد ذلك كل شىء عنى .

قال (شهاب) بطريقة عملية وذكاء اكتسبه من خبرته الطويلة فى هذه المهنة :

.تعيش هنا ! هاه .. هذا يعنى أنك لا تريد رفع بصماتك من المكان !

.نعم .

سأله (شهاب) وعينيه تجولان فى المكان :

.تريد رفع بصماته هو وإزالة أى شىء متعلق به ؟

هز (مازن) رأسه نفيا وقال :

. لا .. فهوأيضا يعيش هنا .. أقصد كان يعيش هنا .

توفيرا للوقت سأله (شهاب) :

ـ ما الذى تريده بالضبط ؟

ابتسم (مازن) وقال :

ـ أنت عملى جدا .. لا تريد أن تضيع وقت .

ـ هذا أفضل لى ولك .. فقد يأتى أى أحد فى أى لحظة .. دعنا لا نضيع الوقت .

ـ حسنا .. المطلوب منك هوالتخلص من الجثة وتنظيف المكان من أى آثار للدماء أو المشاجرة .. أمامك كل الوقت .. وسأدفع لك ما تريد .

ـ حسنا .. الدفع مقدما .. دعنى لحظة لأحسب المبلغ المطلوب .

ظهرت نظرات إعجاب وانبهار من عينى (مازن) قبل أن يقول :

ـ كما سمعت عنك بالضبط .

التفت (شهاب) له وسأله بجدية يكسوها بعض القلق :

ـ وما الذى سمعته ؟

أجابه (مازن) على الفور :

ـ لقد سمعت أنك الأفضل فى هذه المهنة ولهذا تطلب أجرك مقدما .. والغريب أنه ليس أجرا كبيرا ..

قاطعه (شهاب) قائلا :

ـ الأجر يكون حسب المطلوب منى .. لذا ليس هناك أجر محدد لى .

أكمل (مازن) سرد المعلومات التى يعرفها عنه قائلا :

ـ لا تقبل الشيكات .. وفى حالة رفض العميل لمطالبك تنصرف على الفور .. أنت مشهور جدا فى مدينة الخطايا .. مدينة الآثام .. مدينة الجريمة .. العالم السفلى يطلبك دائما .. ولا أحد يعرف اسمك أبدا .. فقط رقم الاستدعاء .. والمهنة (م . ج) .

سأله (شهاب) عندما تطرق حديثه لمسألة الرقم :

ـ ومن أعطاك رقمى ؟

ـ صديق عزيز .

ظن (شهاب) أنه اكتفى بهذه الإجابة القصيرة .. لكنه أكمل قائلا :

ـ قال أنك تعمل منظف جرائم .. لم أفهم طبيعة المهنة وقتها .. قال لى أننى لو ارتكبت جريمة يوما عن طريق الخطأ أو عن عمد أو تورطت فى أى شىء ولم أستطع التصرف اتصل بك وستأتى على الفور وتقوم بعمل اللازم لانقاذى .. تنظف المكان من أى آثار للجريمة وكأن شيئا لم يكن .. احتفظت بالرقم ولم أتصور أنى سأحتاجه يوما ما .

أخبره (شهاب) بالمبلغ المطلوب ..

دخل (مازن) احدى الغرف وعاد حاملا المبلغ .. أخذه (شهاب) وبدأ عمله على الفور .. أخرج أجهزته وأدواته من حقيبته .. قال (مازن) :

ـ أتعلم من هو صديقى الذى أخبرنى برقمك ؟

ـ ....

ـ هوالذى تحمل جثته الآن .

●●●●●

تعريف هام :

منظف الجرائم : هوشخص يقوم بتنظيف مسرح الجريمة من أى بصمات أو أدلة قد تشير إلى الجانى مقابل أجر .. وفى بعض الأحيان يقوم بالتخلص من الجثة .

المرجع : قاموس (القانون الجنائى) الصادر عن هيئة الأمن الدولى .. الجزء الثامن الطبعة العاشرة لعام ٢٠٤٠ .

●●●●●

ـ س : هل حدث يوما أن تم استدعائك للتنظيف أثناء قيامك بتنظيف جريمة أخرى ؟ أو تم استدعائك للتنظيف من رقمين مختلفين فى وقت واحد ؟

ـ ج : نعم .. حدث .

ـ س : كم مرة ؟

- ج : مرات كثيرة .. لا أتذكر عددها .

- س : وماذا كنت تفعل وقتها ؟

•••••

انتهى (شهاب) من وضع جثة (صقر) فى جوال قديم وربط نهايته بإحكام شديد .. فسأله (مازن) مندهشا :

- هل ستخرج به هكذا ؟

أجاب (شهاب) بهدوء :

- نعم .

سأله (مازن) متعجبا :

- وإذا سألك أحد عن محتواه ؟

أجاب (شهاب) بهدوء :

- لا تقلق .. الرد جاهز .

- ولكن .. القناع .. ألن تخلعه ؟

- ما به ؟ إنه وجه لرجل .. لكنه ليس وجهى .

- لكنه قناع !

- لا أحد يعرف أنه قناع إلا إذا اقترب منى .

- وماذا إذا اقترب أحد منك واكتشف أنه قناع .. كيف ستبرر ارتدائك له؟

ابتسم (شهاب) ثم قال بثقة :

- لا أحد يقترب منى .

قال (مازن) وقد ازداد إعجابه بالرجل :

- كل هذا حتى لا يعرف أحد من أنت .. ترتدى القناع أمامى وأمام أى عميل آخر .. وعندما تبتعد عن المكان أو تركب سيارتك تخلع القناع .

شعر (شهاب) بالملل من ثرثرة (مازن) لذا أجابه باقتضاب :

- بالضبط .

تمنى (شهاب) أن يتوقف (مازن) عن التحدث والقاء الأسئلة لكن الأخير ألقى نظرة أخرى على الجوال وقال :

ـ وهذا الجوال يبدو قديما جدا .. لا يمكنه أن يثير الشكوك ..

ثم انطلق الصوت المميز من جيب (شهاب) .. فانزعج (مازن) وقال :

ـ ما هذا الصوت ؟ هل هذا جرس إنذار ؟

ابتسم (شهاب) ابتسامة سريعة وقال :

ـ لقد أنهيت عملى هنا .. سأنصرف الآن .

سأله (مازن) :

ـ هذا استدعاء لمهمة أخرى .. أليس كذلك ؟

اكتفى (شهاب) بإيماءة من رأسه .. فسأله (مازن) :

ـ حسنا .. ألن تخبرنى كيف ستتخلص من الجثة ؟

قال (شهاب) بهدوء شديد يحمل الكثير من الغموض :

ـ من الأفضل لك ألا تعرف .

قال (مازن) بصدق :

ـ أعدك ألا أخبر أحدا .

ـ لا أقصد هذا .. ولكن .. هذه جثة صديقك فى النهاية .. ومن الأفضل ألا تعرف ما سيحدث لها .

قال (مازن) باقتناع :

ـ معك حق .

أغلق (شهاب) الباب فور خروجه من الشقة .. حاملا الجوال على كتفه حتى وصل إلى سيارته .. أخرج هاتفه واتصل بآخر رقم مسجل فى قائمة المكالمات الفائتة .. وقال باقتضاب :

ـ أين ؟

جاءه صوت المتصل :

- شارع عزيز راشد .. المنزل رقم ١٠٥ .

زفر (شهاب) بقوة ثم قال :

- للأسف .. أنا فى مهمة عمل الآن .. والمكان بعيد بالنسبة لمكانى .. والطريق إليه سيكون مزدحما فى هذه الساعة .. لذا قد أتأخر .. فهل يمكنك الانتظار أم ستتصل بمنظف آخر غيرى ؟

- سأنتظرك .. ولكن إلى أى مدى ستتأخر ؟

●●●●●

- س : كيف تتخلص من الجثث ؟

- ج : عادةً أقوم بدفنها .

- س : أين ؟

●●●●●

بعدما انتهى (شهاب) من دفن جثة (صقر) فى منطقة مهجورة .. انطلق بسيارته لشارع عزيز راشد .. وهناك أخرج هاتفه الخاص بالعمل من جيبه واتصل بالعميل ..

- آلو.. أنا أمام المنزل الآن .

فوجئ (شهاب) بالباب يُفتح أوتوماتيكيا .. لابد أنه يعمل ببصمة الصوت أوبأحد الأزرار من مكان ما .. لأنه لم يجد أحدا خلفه .

كان الرجل الذى اتصل به يقف فى ركن مظلم بالداخل .. قال له بصوت هادئ رزين :

- لم تتأخر كثيرا .

أجابه (شهاب) :

- لقد بذلت قصارى جهدي للوصول بسرعة .

قال الرجل بلهجة عملية :

- حسنا .. ابدأ عملك على الفور .

أُعجب (شهاب) برزانة وهدوء الرجل .. واهتمامه بالحفاظ على هويته ..

يقف فى مكان مظلم حتى لا يراه .. (شهاب) يحب العملاء من هذا النوع.. النوع الحريص .. الغامض .. أما نوع (مازن) فيثر غضبه .

قال (شهاب) وهو يجول بعينيه فى المكان :

- أنا لم أفهم بعد .. ما هوالمطلوب منى ؟

قال العميل ساخرا :

- هل تريدنى أن أشرح لك طبيعة عملك ؟

- أقصد .. ما هى الجريمة التى حدثت هنا ؟

أجابه العميل ببساطة كمن اعتاد هذه الأمور :

- قتل .

- والجثة ؟

- فى هذه الغرفة .

اتجه (شهاب) إلى حيث أشار الرجل .. وجدها غرفة نوم واسعة .

الجثة مسجية أمامه على الأرض .. مغطاة بملاءة بيضاء .. لا يظهر منها شيئا سوى ساقين ناعمتين تدلان على أن الجثة لأنثى .

عاد (شهاب) ليسأل العميل سؤالا .. لكنه لم يجده فى مكانه .. بحث عنه .. وجده داخل الغرفة التى كان بها منذ قليل .

الغرفة كانت مضاءة بشكل جيد لذا ظهر وجه العميل واضحا تماما أمامه .. وانتهت أسطورة الرجل الغامض .

كان رجلا فى الخمسين من عمره .. يرتدى ثياب فاخرة جدا تشى بأنه من أصحاب الملايين .. له كرش ضخم لا يمنعه من التحرك بخفة وهدوء .. وجه ممتلئ ذو لغد كبير .. شعره أسود فاحم .. هل هى صبغة ممتازة أم أنه أجرى عملية (الشعر الأبدى) ؟ لن تعرف الإجابة إلا إذا أخبرك هو بنفسه .. هذه العمليات متقنة للغاية .. له شارب كثيف تحت أنف معقوف وعينان جاحظتان.

سأله (شهاب) :

- هل تريدنى أن أتخلص من الجثة ؟

- لا .

خمن (شهاب) أن الجثة ستكون لصاحبة هذا المنزل ولهذا لا يريد التخلص منها .. هو فقط يريد التخلص مما يربطه بها .

- هل تريدنى أن أفحص الجثة وأزيل أى بصم ..

قاطعه قائلا :

- لا .. لا داعى .. فقط قم بتنظيف المكان من أى بصمات .

خمن (شهاب) أن صاحبة المنزل قد تكون ميتة بصورة طبيعية .. والأمر ليس جريمة قتل كما يدعى هذا الرجل .. ولهذا لم يطلب منه فحص الجثة .. الاحتمال الأكبر هو أنه اكتشف موتها فاستغل الموقف وقام بسرقتها ولكنه لا يعرف أين ترك بصماته بالضبط فى المكان .

- حسنا .. فى هذه الحالة سيكون المبلغ ..

قاطعه الرجل قائلا :

- أيا كان المبلغ سأدفعه .. فقط أنه عملك بسرعة .. وأنا سأدفع لك ما تريد .

وقبل أن ينطق (شهاب) بحرف أكمل الرجل :

- مضاعفا .

قال (شهاب) بحزم :

- الدفع مقدما .

بعدما حصل (شهاب) على أجره .. قال للرجل :

- أطفئ النور الآن .

*****

ـ س : ما هى الأدوات التى تستخدمها فى تنظيف الجرائم ؟

ـ ج : أدوات كثيرة جدا .

ـ س : مثل ... ؟

•••••

ضحك الرجل وراح كرشه الضخم يهتز وقال :

ـ لماذا تريدنى أن أطفىء الأنوار ؟

قال (شهاب) بلهجة جادة :

ـ لأقوم بعملى .

سأله الرجل مندهشا :

ـ هل ستقوم بعملك فى الظلام ؟

لم يجب (شهاب) سؤاله .. بل سأله :

ـ هل ستنفذ ما أطلبه أم أقوم أنا به ؟

اتجه الرجل السمين إلى منضدة قريبة منه .. وأمسك بريموت كنترول كان عليها .. رفعه لأعلى ثم ضغط على أحد الأزرار .. فساد الظلام فى المكان عدا بعض الإضاءة الخفيفة التى تسللت من بعض النوافذ البعيدة .

خلع (شهاب) نظارته السوداء ووضع بدلا منها نظارة أخرى خاصة جدا وقال :

ـ الآن يمكننى أن أرى البصمات .

قال له الرجل وهو يمد يده إلى نظارته :

ـ دعنى أرى .

ولم يعترض (شهاب) بالرغم من حرصه الشديد على أدواته واهتمامه

الشديد بها .. أعطى نظارته للرجل ليجربها .. وضعها الرجل فوق عينيه فبدت البصمات حوله فى كل مكان بيضاء مضيئة لامعة .. هناك المئات منها .. وسط جوأزرق معتم كابوسى .

أعاد الرجل النظارة عجيبة الشكل لـ (شهاب) وقال له :

- الآن فهمت .. لم تكن لتستطيع رؤية كل هذا والأنوار مضاءة .

قال (شهاب) باقتضاب :

- بالضبط .

- هل ستستخدم الآن مسحوقا لإظهار البصمات وبعض الـ ..

قاطعه (شهاب) مبتسما وهو منهمك فى عمله الأثيم :

- أنت تخلط بينى وبين عمل الشرطة .. أنا لا أقوم برفع البصمات .. أنا لا أنوى الاحتفاظ بها وتحليلها ومقارنتها مع البصمات الأخرى .. أنا أريد معرفة مكانها فقط من أجل إزالتها نهائيا .

- هل تستطيع رؤية جميع البصمات الموجودة فى المكان ؟

- البصمات الحديثة منها فقط .. وهى كل ما تهمنا هنا .. أليس كذلك ؟

ثم أخرج (شهاب) جهازا آخرا ليمسح البصمات من على الأشياء دون تحريكها .

●●●●●

قال (شهاب) للرجل السمين وهى يعطيه كيس بلاستيكى شفاف :

- لقد انتهيت .. مسحت كل البصمات .

نظر الرجل إلى الكيس وقال :

- تمام .. ولكن ما هذا ؟

- هذه الأشياء وجدتها متناثرة فى أماكن مختلفة .. حول الجثة .. أعتقد أنها لا تنتمى لهذا المكان .. إنها تخصك على الأرجح .

حدق الرجل فى محتويات الكيس دون فتحه ..

ساعة يد .. هاتف محمول .. سلسلة مفاتيح .. ميدالية على شكل جمجمة ..

وأشياء أخرى كثيرة .

قال الرجل :

ـ أنت ذكى جدا وسريع البديهة .. ولديك أدوات خطيرة تسهل لك عملك .. لا أعرف كيف عثرت على هذه الأشياء وكيف علمت أنها تخصني .. أنت عبقرى فى مهنتك .

ابتسم (شهاب) ابتسامة شكر وقال :

ـ هل تريد منى أى خدمة أخرى ؟

فتح الرجل الكيس ثم أخرج هاتف محمول وقال :

ـ تخلص من هذا .. إنه لا يخصنى .

فهم (شهاب) على الفور أنه يخص القتيلة .. وضعه فى حقيبته بهدوء ثم قال :

ـ سأنصرف الآن .

واتجه ناحية الباب .. فسأله الرجل :

ـ هل تحب أن أوصلك إلى أى مكان ؟

ـ لا .. شكرا .

ـ ألن ترينى وجهك الحقيقى ؟

هز (شهاب) رأسه نفيا ثم انصرف .. تبعه الرجل لكن فجأة لم يعد يراه أمامه ..

اختفى تماما .

●●●●●

ـ س : بعد كل مهمة تنظيف .. أين تتخلص من الأدلة ؟

ـ ج : فى المحرقة .

ـ س : أى محرقة ؟ .. أنت تعلم أن المحارق كثيرة فى البلد .

ـ ج : أى واحدة أجدها فى طريقى .. أو أقرب محرقة من مسرح الجريمة .

●●●●●

استقل (شهاب) سيارته وانطلق إلى أقرب محرقة له .. وهناك وقف أمام احدى فتحاتها الجانبية وتلفت حوله .. تأكد أن لا أحد يراه .. أخرج من جيبه الهاتف المحمول الذى يخص القتيلة .. سار خطوتين ليقترب من الفتحة أكثر ثم ألقى المحمول بداخلها ..

وقبل أن يعود لسيارته فوجئ بجرس الاستدعاء ينطلق من جديد .. أخرج الهاتف من جيبه وفتح المكالمة وقال :

- آلو.. أين ؟

كانت هذه واحدة من الليالي المزدحمة بالعمل .. فهذه هى الجريمة الثالثة التى يتم استدعائه لتنظيفها .. ومن يدرى ؟ ربما تكون هناك جرائم أخرى تُرتكب فى نفس اللحظة ويتم استدعاؤه لها .. مدينة الخطايا لا تكف عن العمل ..

إن منحنى الجرائم فى ارتفاع مستمر .. وهذا يعنى له الكثير من العمل .. والكثير من المال .

وصل (شهاب) لمسرح الجريمة بسرعة فقد كان بشارع قريب من شارع عزيز راشد ..

وهناك .. استقبله رجلا أسمرا نحيلا يرتدى بيجاما قطنية .. يبدو عليه الذعر والارتباك .. قال له :

- أنقذني من هذه الورطة .. أرجوك .

ربت (شهاب) على كتفه محاولا تهدئته .. وقال :

- إهدأ .. وأخبرنى ما الذى حدث .

وبداخل الشقة .. جلس الرجلان فى غرفة المعيشة .. بكى العميل قائلا :

- تشاجرت أنا وهى .. صفعتها ثم صفعتنى .. تملكنى الغضب الشديد عندما فوجئت بصفعتها .. كيف تجرؤ هذه الحقيرة على فعل ذلك ؟ .. رُحت أسبها وألعنها وألكمها وأركلها و..

قاطعه (شهاب) قائلا :

- زوجتك ؟

مسح الرجل دموعه وهو يقول :

ـ نعم .

سأله (شهاب) باهتمام :

ـ ضرب أفضى إلى موت ؟

أومأ الرجل برأسه إيجابا وقال :

ـ بالضبط .

نهض (شهاب) من مقعده وهو يسأل :

ـ أين الجثة ؟

أشار العميل إلى غرفة النوم وقال :

ـ هناك .

اتجه (شهاب) حاملا حقيبته نحوالغرفة .. وجد هناك جثة امرأة سمينة على الأرض ترتدى فستان سهرة .. مُزقت بعض أجزائه فى مناطق مختلفة .. على وجهها آثار صفعات ولكمات .. ودماء على شعرها وجبهتها .. وبجوار رأسها فردة حذاء نسائي .. يبدو أنه يخصها لأنها كانت ترتدى الفردة الأخرى .. من المحتمل أنها خلعت الفردة الأولى لتضرب بها زوجها .

كانت هناك دماء فى أكثر من موضع فى الغرفة .. على الأرض وعلى الحائط .. يبدوأن الزوج كان يدفعها كثيرا نحو الحائط ويضرب رأسها به .

قال (شهاب) :

ـ هل تريدنى أن أنظف هذه الفوضى ؟

أجابه الزوج على الفور :

ـ بالتأكيد .

سأله (شهاب) :

ـ هل تريدنى أن أمسح بصماتك من المكان ؟

قال الرجل معترضا :

ـ لا .. إن هذه شقتى .

ـ حسنا .. هل تريدنى أن أتخلص من الجثة ؟

قال الرجل بدون لحظة تردد :

ـ بالتأكيد .

ـ حسنا .

ـ وامسح بصماتها فقط .

التفت (شهاب) إليه وسأله مندهشا :

ـ ماذا ؟ ماذا تعنى ؟

ارتبك الرجل وقال :

ـ كنت أطلب منك أن تمسح بصماتها فقط .. وتترك بصماتى كما هى .

ضحك (شهاب) وقال :

ـ أنا لا أفرّق بين البصمات .. فإما أن أمسح جميع البصمات أو أتركها كما هى .

اقتنع الزوج وقال :

ـ حسنا .. امسحها كلها .

سأله (شهاب) مندهشا :

ـ لماذا طلبت أن أمسح بصماتها فقط ؟ ألم تقل أنها شقتك ؟

ـ نعم شقتى .. ولكنها لا تعيش معى .

ـ ....

ـ هذه ليست شقة الزوجية .. هذه شقة أخرى ملكى أستخدمها من أجل .. من أجل الـ ..

أشاح العميل بوجهه بعيدا عن عينى (شهاب) ودفن يديه فى جيبى بيجامته وابتلع ريقه ثم قال :

ـ من أجل الليالى الحمراء .. بعيدا عن زوجتى .. لكنى فوجئت الليلة بزيارتها لى هنا .. لا أعلم كيف عرفت العنوان .. المهم أنها جاءت ورأت الفتاة عندى

الجثة

- س : هل حدث يوما أن تلقيت استدعاء خاطئ ؟

- ج : نعم .

- س : كيف ؟

- ج : أذهب من أجل تنظيف جريمة .. فلا أجد أى جريمة .

●●●●●

وفجأة ..

حدث أمر غريب .. لقد تحركت الجثة .

تراجع الزوج مصعوقا وسقط على الأرض من هول المفاجأة .. بينما الجثة تمسك رأسها وتقول وسط أنينها :

- ما الذى تفعله يا حيوان ؟

قال الزوج مذهولا :

- أنتِ لم تموتى بعد ؟

قالت الزوجة التى اتضح أنها لا تزال على قيد الحياة :

- تريد سرقتى وأنا ميتة يا جبان !

حاولت النهوض وهى تقول :

- أين هى ؟ أين خبأت الشيطانة الملعونة ؟

انتبهت لوجود رجل آخر معها فى الغرفة عندما سمعت ضحكاته .. فقالت مرتبكة :

- أنا أتذكر أنى ضبطتك مع فتاة .. وليس رجل .

(شهاب) كان لا يزال يضحك عندما سألته :

- من أنت ؟ هل أنت طبيب ؟ هل أحضرك ليتأكد من موتى ؟

ثم حدقت فى وجهه وقالت :

- ما هذا ؟ هل ترتدى قناع ؟ لماذا يرتدى الطبيب هذا القناع ؟

قال (شهاب) وهو مستمرا فى الضحك :

- لقد استدعاني لكى أدفنك .

التفتت إلى زوجها وأمسكته من البيجاما بمنتهى العنف قائلة :

- هل أحضرت حانوتيا لى ؟ هل أنت متعجل للخلاص منى لهذه الدرجة ؟

غمغم (شهاب) :

- عفوا .. أنا لست حانوتى .

سألته الزوجة :

- من أنت إذن ؟ وماذا تعمل ؟ وما سبب وجودك هنا ؟

أجابها (شهاب) بهدوء :

- أنا منظف جرائم .

قالت بغضب شديد :

- حسنا .. انتظر هنا .. سوف أحتاجك لتنظف المكان بعد ما أقتله .

أما الزوج فقد حاول التملص من يديها القويتين وهو يقول :

- ألا يمكنك دفنها حية ؟

ضحك (شهاب) وأجابه :

- لا .

لم يستطع الزوج التخلص من قبضات زوجته القوية .. قال لـ (شهاب) متوسلا :

- ساعدنى فى قتلها وسوف أدفع لك ما تريد .

ابتسم (شهاب) قائلا :

- أنا لا أقتل أبدا .. أنا فقط أنظف جرائم القتل .. فإذا أردت قتلها استدعى قاتلا محترفا .. وبعد ذلك استدعينى لأنظف وراءه .

ثم حمل حقيبته وأكمل :

ـ وطالما أن الجثة لم تعد جثة .. والجريمة لم تكن جريمة .. لذا لا فائدة من وجودى هنا .. سأنصرف فورا .

لكم الرجل زوجته وقال :

ـ انتظر يا هذا .. سوف أقتلها .. انتظر .

أما الزوجة تفادت اللكمة الثانية وقالت :

ـ بل انتظرنى أنا .. وسوف أقتله .

المعركة لا تزال مستمرة .. الله وحده يعلم متى ستنتهى .. وهل ستنتهى بموت أحدهما أم لا .. لكن (شهاب) لن ينتظر ليعرف نتيجة المباراة فربما تنتهى بالتعادل .. قال بلهجة عملية :

ـ لن أنتظر أحدا .. إذا قتل أحدكما الآخر فليتصل بى .

وفتح الباب ليخرج لكن ..

فوجئ برجل أمامه مباشرة .

من هو؟

وماذا يريد ؟

●●●●●

ـ س : هل حدث يوما أن ذهبت لتنظيف جريمة فوجدت منظف آخر يقوم بالمهمة ؟

ـ ج : نعم .. حدث ذلك أكثر من مرة .. فالعميل يكون فى غاية القلق .. ويخشى تأخر المنظف أوعدم حضوره .. فيتصل بأكثر من واحد .

ـ س : وماذا كنت تفعل ؟

ـ ج : القاعدة معروفة .. من حضر أولا هو الذى يبقى ليكمل عمله والثانى ينصرف .. والمفروض أن يدفع العميل تعويضا للمنظف الثانى .. لكننا لا نجبره على فعل ذلك .. إذا لم يدفع فهو حر .. المهم أن يدفع العميل للمنظف الأول .

ـ س : ألا يمكن أن يتعاون الاثنان فى التنظيف ؟

- ج : إن كانا أصدقاء ويعرفان بعضهما قد يحدث ذلك .. لكن فى معظم الحالات لا يساعد أحدا الآخر .. لأن كل واحد يريد أجره كاملا دون أن يتقاسمه مع أحد .

•••••

فوجئ (شهاب) برجل يقف أمامه مباشرة .. يرفع قبضة يده اليمنى تأهبا لطرق الباب .. كان الرجل يرتدى قناعا مثله ونظارة سوداء وقفازات فى يده..

استطاع (شهاب) تخمين مهنة الرجل الآخر وسبب وجوده هنا .

التفت إلى الزوج الشاب الذى يجاهد لكى يظل حيا ولكى يظل رجلا وقال له :

- هل استدعيت منظف آخر ؟

قال الزوج وهو يحاول تفادى ركلة قوية متجهة نحونقطة ضعفه :

- هل وصل ؟

ضحك (شهاب) وقال :

- منظفان ولا توجد جريمة !

قال الزوج وهو يحاول إهداء زوجته لكمة صاروخية :

- فلتدعه يدخل .. سأحتاجه قريبا جدا .

وأحاط رقبة زوجته السمينة بكلتا يديه محاولا خنقها بإصرار شديد .

أما المنظف الآخر فقد وجّه سؤالا لـ (شهاب) :

- هل استدعاك قبلى ؟

تخلصت الزوجة من أيدى زوجها التى كانت تعصر رقبتها عصرا .. والتقطت أنفاسها أخيرا .. ثم دفعت زوجها بعنف نحو الحائط وراحت تضرب رأسه به .

قال (شهاب) مجيبا على سؤال المنظف الآخر :

- نعم .. ولكن اتضح أنها لم تمت بعد .. على أى حال أنا منصرف .. إذا أردت الانتظار حتى يخلص أحدهما على الآخر فانتظر .. ولكنى أنصحك ..

خذ أجرك مقدمًا فربما يخلصان على بعضهما البعض ولا تجد من يدفع لك فى النهاية .

نظر المنظف الآخر إلى الزوج الذى كان يصارع للحفاظ على حياته والحفاظ على سلامة رأسه .. ثم قال :

ـ حسنا .. سأنتظر .. طالما أننى حضرت لن أعود خالى الوفاض .

قال (شهاب) ساخرا :

ـ حسنا .. استمتع بمشاهدة هذه المصارعة الزوجية .

قال المنظف الآخر بامتنان :

ـ شكرا لك .

وترك (شهاب) هذه المهمة للمنظف الآخر بالرغم من استدعائه لها أولا .. لكن هل هى مهمة عمل حقا ؟ هل سيتغلب أحدهما على الآخر ويقتله ؟

كل هذه الأسئلة دارت فى عقل (شهاب) وهو يغادر المبنى ..

ثم سمع صرخات عالية .. لا يعلم من أين أتت ..

تساءل :

تُرى من التى أطلقت تلك الصرخات ؟ ولماذا ؟

هل هى سيدة تصرخ لتستغيث بأى أحد لينقذها من الموت ؟ هل هى فتاة يتم اغتصابها ؟ هل هى امرأة رأت من يسرقها وتحاول أن تمنعه من سرقتها ؟ هل هى طفلة مخطوفة من أجل فدية كبيرة ؟

وربما تكون .. صرخات ماجنة من امرأة فاسقة فى ليلة حمراء ؟

الاحتمالات كثيرة فى مدينة الآثام .

●●●●●

استقل (شهاب) سيارته وبينما يقودها عائدا إلى منزله انطلق جرس الاستدعاء مرة أخرى .. رد ببرود :

ـ آلو.

ـ أريدك حالا .. من أجل تنظيف جريمة قتل .

وبدلا من سؤال (أين) المعتاد سأله :

.هل أنت متأكد من حدوث الجريمة ؟ من وجود جثة ؟

.نعم متأكد .. لقد قتلته .

عاد يسأله مجددا :

.متأكد أنه مات ؟

.نعم .

.حسنا .. أعطنى العنوان .

وبعد المكالمة أدار سيارته متجها لمسرح الجريمة الجديد وهو يتمتم :

.يا لها من ليلة طويلة !

وتذكر الليلة التى قام فيها بتسع مهمات عمل .. كانت أكثر الليالى ازدحاما .. عاد يومها إلى منزله بعد الفجر .. هذه الليلة ثلاث مهمات حتى الآن إذا اعتبرنا الاستدعاء الخاطئ مهمة .. وها هو متجها إلى المهمة الرابعة .

لو ظلت هذه الليلة بنفس الوتيرة ربما يحقق رقما قياسيا جديدا .

وفى العنوان المحدد .. اتصل على رقم العميل .. وانتظر رده لكن لم يتلق أى رد .

محاولة اتصال مرة أخرى ..

لم يرد أحد عليه ..

طرق الباب ..

فوجئ بالباب يتحرك من مكانه نتيجة دفعه بطرقاته ..

لقد كان مفتوحا ..

خمن أن صاحب البيت تركه مفتوحا ليدخل على الفور دون أى تأخير أو إزعاج للجيران .. سار قليلا فى الداخل باحثا عن أي أحد ..

لكنه لم يجد !

بدأ يشعر بالقلق .. فكر فى التراجع والعودة من حيث جاء ..

اتصل مجددا على نفس الرقم .

لم يرد أحد كما حدث فى المرات السابقة .. لكنه هذه المرة سمع نغمة هاتف محمول بالقرب منه ..

توقفت النغمة عندما ظهرت على شاشة هاتفه جملة (لم يتم الرد) .

اتصل مرة أخرى .. سمع النغمة مرة أخرى .. الصوت ينبعث من إحدى الغرف .. اتجه إليها .. رأى الهاتف تحت سرير فى غرفة نوم .

أضاء نور الغرفة ليرى أكثر .. وجد جثة رجل فوق السرير .. نظر حوله .. وجد خزينة كبيرة مفتوحة على مصراعيها .. خالية تماما .

ثم سمع صوت سرينة سيارات الشرطة من بعيد ..

الصوت يعلو ويقترب ..

الآن فهم كل شىء ..

لقد ارتكب الجانى جريمته .. قتل وسرق وهرب .. ثم اتصل به .. ليس من أجل التنظيف ولكن من أجل إيجاد أحد فى مسرح الجريمة ليتم اتهامه بها بدلا منه .

هذا فخ !

ولقد وقع فيه (شهاب) بسهولة .

●●●●●

الهروب

ـ س : ألم تخشى أن تأتى الشرطة يوما وتقبض عليك وأنت فى مسرح الجريمة تقوم بالتنظيف ؟

ـ ج : كنت أخشى ذلك بالتأكيد .. ولقد حدث ذلك أكثر من مرة .

ـ س : كيف ؟

ـ ج : نكتشف أنا والعميل أن القتيل ـ مثلا ـ قد اتصل بالشرطة دون أن يعلم عندما شعر بالخطر منه .. أو أن أحد الجيران قد سمع صوت استغاثة أو تحطم أشياء فاتصل بالنجدة .. وهكذا .. الأسباب دوما تكون من هذا القبيل .. وفى كل مرة كنت أهرب بسهولة شديدة بمساعدة العميل .. وفى احدى المرات كادت الشرطة أن تقبض علىّ فيها .. فى تلك المرة كان العميل هو الذى اتصل بالشرطة .

ـ س : لماذا ؟

ـ ج : لكى يورطنى فى الجريمة .

●●●●●

هرع (شهاب) ناحية باب الغرفة ليهرب .. فوجئ بمن يغلقه بسرعة ..

إن الجانى لا يزال هنا ولا يريده أن يفلت من قبضة الشرطة ..

لقد حبسه داخل غرفة النوم .

حاول (شهاب) فتح الباب كثيرا .. لكنه لم يستطع .

سمع صوت التكات المعدنية .. لقد أغلق الجانى الباب بالمفتاح .. ثم سمع صوت خطوات .. إن الجانى فى طريقه للهرب أما هو فقد وقع فى المصيدة ..

ثم سمع صوت غلق باب المنزل .. لابد أن الجانى بالخارج الآن وربما يساعد رجال الشرطة فى الوصول للعنوان الصحيح وبطريقة أسرع .

لم يحاول (شهاب) دفع الباب لأن الباب يُفتح للداخل .. إنه يريد من يدفعه

من خارج الغرفة .. أويفتحه بالمفتاح إن وجد واحدا .

ماذا يفعل ؟

لا يمكن أن يبقى هكذا ! كيف يفسر وجوده فى مسرح الجريمة ؟ حتى لو لم يجدوا أى بصمات له أومسروقات معه كيف يفسر وجوده فى هذا المكان وفى تلك الساعة .. خاصة مع وجود جثة ؟!

فكر (شهاب) بسرعة .. هرع إلى احدى النوافذ .. فتحها .. نظر منها .. المسافة إلى الأرض بعيدة .

اتجه إلى السرير .. أخرج من حقيبته بَكَرَة ملفوفا عليها حبلا رفيعا طويلا متينا .. ربط طرفه فى عمود السرير ودفع السرير ليكون بجوار النافذة بالضبط .

خرج من النافذة ممسكا الحبل بيديه اللتان ترتديان قفازا متينا وراح يهبط نحو الأرض .. وصل إلى نهاية الحبل فى البَكَرَة .. المسافة الباقية ليست كبيرة .. ترك الحبل وهبط على قدميه .. جرى ناحية السور وتسلقه ثم أصبح فى الخارج .. بعيدا عن الشارع الذى به سيارات الشرطة .

خلع القناع والقفازات .. وسار بهدوء شديد كأنه أحد سكان المنطقة .. واتجه نحو سيارته .

رأى رجال الشرطة تقتحم المنزل الذى كان به منذ دقائق ..

طبعا سيجدوا الجثة ولكنهم لن يجدوا القاتل ..

أو.. المنظف .

لقد أفلت من الفخ !

يا لها من ليلة ! كانت مهمتين فقط .. المهمة الثالثة كانت استدعاء خاطىء والرابعة كانت مصيدة .

اكتفى (شهاب) بما حدث له وقرر العودة للمنزل ..

ما أجمل العودة للمنزل !

●●●●●

ـ س : مع كل المخاطر التى واجهتها .. ألم تفكر فى اعتزال المهنة ؟

ـ ج : نعم .. فكرت .. واعتزلتها بالفعل لفترة قصيرة .. لكن لم يكن السبب المخاطر التى أواجهها فلقد اعتدت مواجهتها والاستعداد لها ولا تنس أن المهنة مربحة جدا تجعلنى أتحمل أى مخاطر من أجلها .. وكما تعلم لا توجد مهنة فى العالم بدون مخاطر .

ـ س : ما هو السبب الذى جعلك تعتزلها إذن ؟

•••••

قبل أن يصل (شهاب) إلى منزله تلقى الاستدعاء الخامس ..

مهمة عمل جديدة !

هل يقبلها .. أم يعود إلى منزله ويكتفى بما ربحه فى هذه الليلة ؟

فكر قليلا .. ثم حسم أمره وقرر أن يرد على العميل ويعرف التفاصيل فإن كانت مهمة سهلة سيقبلها على الفور وإن كانت صعبة سيرفضها بدون تردد .

والمقصود بالصعوبة هنا هوبُعد المسافة .. أو خطورة مسرح الجريمة .. أو عدم توافر مكان لركن سيارته .. فإذا كانت الجريمة قد وقعت فى منطقة بعيدة أوخطرة أومزدحمة ولا يوجد بها مكان لسيارته .. فلن يقبل المهمة .

أما تفاصيل الجريمة نفسها لا تهمه فى شىء .. ولا يمكن أن تمثل له أى صعوبة .. سواء كانت قتل أو اغتصاب .. اختطاف .. سرقة .. أو أى شىء آخر .. لا يهم .

ولن يسأل العميل عن هذه التفاصيل فى الهاتف .. ما يهمه هو المكان .

ـ أين ؟

ـ آلو.. (م ـ ج) ؟

ـ نعم .. أين ؟

ـ أنقذني .

ـ أين ؟

ـ أرجوك .

- أين ؟

- شارع (سهير بهيج) .

- العنوان بالتفصيل ؟

لقد وافق على المهمة الجديدة .. إن شارع (سهير بهيج) قريب جدا من موقعه .

•••••

وفى مسرح الجريمة .. استقبله رجل فى الخمسين من عمره .. أدخله على الفور بمجرد فتحه الباب .. ثم أغلق الباب بسرعة .. شعر (شهاب) ببعض القلق والريبة .. ربما بسبب مهمته السابقة .. من يدريه أن هذه المهمة ليست فخا أيضا ؟

هذه المهمة تختلف فالعميل استقبله بنفسه .. ولكن هذا ليس دليلا كافيا على حسن النية .. فربما يخرج فى أى وقت ويحبس (شهاب) داخل مسرح الجريمة كما فعل العميل السابق .. والشرطة تكون فى طريقها الآن بناء على اتصال من العميل نفسه .

تلفت (شهاب) حوله .. الغرف كلها مفتوحة .. النوافذ مغلقة .. على أى حال هو فى الدور الأرضي ويمكنه الهرب بسهولة فى أى وقت .. ما لم يتم تخديره .

العميل فى حالة سيئة .. جلس على أقرب مقعد وراح يبكى ..

لا يمكن أن يكون هذا فخا أبدا .. زال القلق من صدر (شهاب) وبدأ يمارس عمله كما اعتاد دائما .. سأله بطريقة مباشرة :

- ما نوع الجريمة هنا ؟

لم يجبه العميل .. واستمر فى بكائه .

لم يدر (شهاب) ماذا يفعل .. هل يجلس ليواسيه .. ويسأله عن سبب بكائه ؟ .. بالتأكيد لا .. فهو لا يجيد هذه الأمور .. وإن كان يجيدها فهذا ليس وقتها بالتأكيد .. ما يهمه الآن هو أن ينهى عمله بسرعة ويعود إلى منزله الحبيب .

انتظر (شهاب) لدقيقة ثم سأل العميل :

- ما هو المطلوب منى بالضبط ؟

لم يرد العميل .. والبكاء لا يزال مستمرا .

لم يجد (شهاب) سوى بعض الكلمات الجافة فى عقله .. واضطر لقولها :

- لا داعى للبكاء .. كلنا نخطئ .. البكاء لن يفيدنا شيئا .

يبدوأن خطبته العظيمة لم تؤثر فى العميل ! هذا ما توقعه (شهاب) بالضبط! ربما لو تأثر العميل بما قاله لبدا الأمر غريبا !

تفوه (شهاب) بالمزيد من حِكَمِه الرائعة :

- هذا وقت لا ينفع فيه الندم .

كان يود أن يضيف عليها جملة (التنظيف هو الحل .. هذا هو وقت التنظيف .. وليس الندم) .

مسح العميل دموعه بيده وقال :

- أنا لست نادما .

كانت جملة مفاجئة لـ (شهاب) .. كان يود أن يسأله عن السبب .. لماذا ليس نادما ؟ ولماذا يبكى إذن ؟ .. لكنه وجد أن الوقت غير مناسب لهذا الحوار ..

ربما يسأله هذه الأسئلة أثناء التنظيف .

المهم الآن هو أن العميل تكلم أخيرا .. فليستغل هذه الفرصة ليسأله عن مهمته هنا .. قبل أن يعود للبكاء مجددا ويموت الكلام .

- ما الذى تريده منى ؟ أمسح البصمات ؟

نهض العميل من مقعده وقال :

- لا .. لا .. فأنا أملك هذا المكان .

رأى (شهاب) وجه العميل عن قرب .. كان وسيما .. أشقر .. عيون زرقاء .. شارب رفيع .. أنف كبير .. لحية صغيرة أسفل الفم مباشرة فقط .

كان العميل يرتدى حلة رسمية .. كأنه عائد من حفلة .. لكن على ملابسه بعض الغبار والأتربة كأن الحفلة التى كان بها كانت فى قصر مهجور .

قال (شهاب) وهو يضع حقيبته على الأرض :

ـ ما هو المطلوب منى إذن ؟

قال العميل وهو يرمق بعينيه احدى الغرف :

ـ التخلص من الجثة .

خمن (شهاب) أن الجثة فى الغرفة التى ينظر لها العميل .. ومع ذلك سأله:

ـ أين هى ؟

قال العميل بغموض :

ـ فى مكانها .. المعتاد .

وضغط على حروف الكلمة الأخيرة .. (المعتاد) .

المعتاد ! كيف ؟

ثم خطر فى عقل (شهاب) فكرة فى منتهى الخطورة .. جعلت جسده يرتجف من الخوف والرعب .

شعر (شهاب) برعب شديد فى تلك اللحظة وتراجع قليلا بخطوات هادئة مدروسة حتى لا يشعر بها العميل ..

لقد خمن ما سيحدث فى اللحظات التالية ..

سينقض عليه العميل ويقتله ..

إن هذا العميل هو قاتل متسلسل .. يقتل ضحاياه .. ثم يبكى بعد قتلهم .. وربما يتصل بعد ذلك بالمنظف ليخلصه من الجثث .. ولكنه سيقتل المنظف أيضا حتى لا يعترف عليه .. أوربما يقتله لأنه يهوى قتل أى إنسان أمامه .. وربما هذا القاتل المتسلسل قد تخصص فى قتل منظفى الجرائم .. وربما الجثة التى بالداخل هى جثة منظف جرائم آخر ..

كل هذه الاحتمالات دارت بعقل (شهاب) فى تلك اللحظة بسبب كلمة (المعتاد) التى قالها العميل .

كان لابد أن يفكر فى كل هذه الاحتمالات وأكثر .. فما الذى يمكن أن يعنيه بقوله (فى مكانها المعتاد) ؟

هذا يعنى أن هذا هو المكان المعتاد الذى يقتل فيه أو.. غالبا المكان الذى يضع فيه الجثث التى قتلها .. قبل أن يقوم بدفنها فى القصر المهجور الذى جاء منه .. بدليل التراب الذى يكسو ملابسه .

وربما ليس قصرا مهجورا .. ربما كان فى المقابر .

هذا يعنى أن هناك جثة قبل هذه قام بدفنها .. وطالما أنه يقوم بالدفن بنفسه فلماذا يحتاج إلى منظف إذن يخلصه من الجثة إلا إذا كان يريد جثة المنظف نفسه .. واحتفظ بهذه الجثة ليقنع المنظف بالدخول والعمل .. ثم ينتظر حتى ينهمك المنظف فى عمله ولا ينتبه له .. ثم يهوى على رأسه بأى أداة حادة أو يطعنه بسكين ويقتله على الفور .. ثم يقوم بدفن الجثتين معا .

يبدو أن هذه الليلة كانت حافلة بالعمل لكلا الاثنين .. المنظف يقوم بتنظيف

أكثر من جريمة .. والعميل يقوم بتنفيذ أكثر من جريمة !

فكر (شهاب) بسرعة .. كيف يهرب من هذا المكان ؟ وبأى حجة ؟ إن العميل يحاول التظاهر بالبراءة لأقصى مدى .. يبكى كفتيات الثانوية .. ويتكلم كالأطفال .. وشكله يبدو كنجم سينمائي .. ويرتدى مثل رجال الأعمال .. لابد أن ضحاياه وقعوا بسهولة !

لاحظ العميل تردد (شهاب) فى دخول الغرفة .. فسأله :

- لماذا تقف هكذا ؟ قم بعملك ؟

حاول (شهاب) تطويل المحادثة حتى يعطى لنفسه فرصة أكبر للتفكير .. سأله :

- هل تريد منى أى شىء آخر غير التخلص من الجثة ؟

أجابه العميل باقتضاب :

- لا .

- ألا تريد تنظيف أى شىء ؟

- لا .. خلصنى من الجثة فقط .

- حسنا .. حسنا .

فكر (شهاب) فى سؤال آخر .. ربما يكسب به مودة العميل :

- هل يمكن أن أعرف سبب بكائك ؟

أجابه العميل بطريقة جافة :

- هذا ليس من شأنك .

حاول (شهاب) مجددا :

- هل أنت نادم على فعلتك ؟

- قلت لك .. لست نادما .

- لماذا تبكى إذن ؟

- ....

ظهر الغضب على العميل .. فدخل (شهاب) الغرفة التى بها الجثة ليبتعد عنه .. وجال ببصره فيها .. هناك نافذتين .. سيستخدم الأفضل فيهما من أجل الهروب .. لو أن واحدة منهما تطل على الشارع الرئيسى ـ الذى به سيارته ـ ستكون نافذة ممتازة .

العميل ينظر له ويتابعه جيدا .. لن يستطيع الهرب وهو تحت هذه المراقبة الشديدة .. لابد أن يبتعد عنه وينشغل بأي شيء .. وقتها يمكنه الهرب .. أما الآن فسوف يظفر به بسهولة قبل أن يفتح النافذة حتى .

قال (شهاب) :

ـ أنا أحصل على أجرى مقدما .

شعر (شهاب) ببعض الأمل .. هناك فرصة جيدة له من أجل الهروب .. سينصرف العميل من أجل إحضار المال له فيخرج من النافذة .. أو ربما يعترض على أجره العالى .. وقتها سيخرج من الباب طالما أنه لم يحصل على أجره .

ـ حسنا .. سأعطك ما تريد .. المهم أن تخلصنى من هذه الجثة .

فأخبره (شهاب) بتكلفة هذه العملية .. (التخلص من الجثة) .. لم يذكر له التفاصيل المملة لمسألة التكلفة من (تغطية الجثة ـ حملها ـ توصيلها لمكان الدفن ـ دفنها ـ الكفن ـ البنزين ـ أدوات الحفر والردم ـ تكلفة المخاطرة) .. هذه أشياء لا تهم العميل .. هو يهمه المبلغ النهائى فقط .

قال العميل مندهشا :

ـ فقط ؟ .. لقد توقعت مبلغا أكبر .. على أى حال ستحصل على ما تريد .. المهم أن تخلصنى من هذه الجثة للأبد .

انتظر (شهاب) أن يدخل العميل إحدى الغرف ليحضر له المبلغ المطلوب .. وقتها سيندفع نحو النافذة ويهرب بجلده .

لكن ما انتظره (شهاب) لم يحدث .

لقد وضع العميل يده فى جيب بدلته الداخلية .. ليخرج المبلغ .. أو يخرج مسدسا .. القلق والحيرة تعصفان بعقل وقلب (شهاب) .

اطمئن قليلا عندما رأى المال بعينيه .

قال العميل وهو يعطيه أجره :

- ابدأ فورا .

لم يجد (شهاب) مفرا من بدء العمل .. خاصة أنه قد حصل على أجره كاملا .. لا يوجد أى حجة للتأجيل .

تظاهر بأنه يفتح حقيبته من أجل العمل بعد أن اطمئن على نقوده فى جيبه .. رأى العميل ينفض ملابسه بكف يده اليمنى .. سأله محاولا استدراجه :

- ما كل هذا ؟

أجابه بهدوء :

- حكاية طويلة .

فكر (شهاب) والقلق يعتريه .. لابد أن الحكاية الطويلة تتلخص فى كونه قاتل متسلسل .. يقتل من أجل إشباع نهمه للقتل .. يشعر بالسعادة المطلقة وهو يقتل .. لاتهُمه الأموال بقدر اهتمامه بضحاياه .. ربما لا يأخذ أموالهم بعد قتلهم .. ربما يدفنهم بها .. ما يهمه هو قتلهم ثم دفنهم .. ليستطيع القتل مجددا .. دون أن ينتبه له أحدا .

قال (شهاب) وهو يخرج أدواته من حقيبته :

- أريد أن أسمعها .

- وأنا أريد أن تنتهى من عملك بسرعة .

لم يكف (شهاب) عن المحاولة وسأله :

- هل كنت عند المقابر ؟

حدجه العميل بنظرة غامضة مريبة .. ثم أجاب :

- نعم .

شعر (شهاب) فى اللحظة التالية بالندم لأنه سأل هذا السؤال .. لأن هذه الإجابة تعنى أن استنتاجاته صحيحة .. هذا الرجل قد قتل ودفن من قبل فلماذا يحتاج إليه إذن ؟

ثم بحث عن أداة يدافع بها عن نفسه إذا هاجمه العميل الآن .. تفحص

محتويات حقيبته التى يحفظ ما بداخلها عن ظهر قلب .

هذه تصلح للقتل .. وهذه تصلح لصنع عاهة مستديمة .. وهذه تصلح للقتل أيضا .. أما هذه فتصلح للتعذيب والقتل .. ماذا عن هذه ؟ .. وهذه ؟

لا بأس .. توجد أكثر من أداة تصلح لتأدية المهمة .

السؤال : متى سيهاجمه ؟

حاول (شهاب) أن يمنع نفسه من الأسئلة لكنه لم يستطع .. لذا قال :

ـ لماذا ؟

ظهر الضيق على وجه العميل وقال له :

ـ كف عن طرح الأسئلة وخلصني من هذه الجثة .. إن كنت تستطيع .

قال (شهاب) بلهجة واثقة :

ـ نعم أستطيع .

ضحك العميل .. ثم قال بغموض :

ـ أتمنى ذلك .

ـ لا تقلق .. لقد تخلصت من جثث كثيرة من قبل .. هل كنت تعتقد أن مهنتى تقتصر على التنظيف فقط ؟

قال العميل بلهجة أكثر غموضا :

ـ هذه الجثة .. تختلف تماما عن أى جثة تعاملت معها من قبل .

نظر (شهاب) إلى الجثة .. لا يجد بها أى شىء مريب .. جثة عادية لرجل فى الأربعين .. تظهر بقعة دماء كبيرة عند بطنه .. أول استنتاج هو أنه مات نتيجة طعنات متعددة فى البطن .

قال (شهاب) فى حيرة :

ـ جثة عادية ! لا أجد أى شىء مريب بها .

ضحك العميل ضحكة ساخرة مريرة وقال :

ـ هذا ما تظنه !

سأله (شهاب) فى حيرة :

ـ ما الأمر بالضبط ؟

أخرج العميل علبة سجائره من جيبه وراح يدخن .. ثم قال :

ـ سأخبرك بكل شىء .

وقرر أن يزيح السر عن صدره كما يزيح دخان سجائره .. قال بلهجة مخيفة .. أو خائفة على الأرجح :

ـ هذه الجثة ملعونة .. لا يمكن التخلص منها أبدا .. لقد دفنتها مرات كثيرة من قبل .. وفى كل مرة تعود إلى نفس المكان .. مكانها المعتاد .

●●●●●

اللعنة

قال (شهاب) وهو لا يصدق ما يسمعه :

ـ ملعونة ! تعود إلى مكانها ! .. كيف هذا ؟ .. هل تعنى أنها تعود للحياة وتخرج من قبرها وتسير حتى هنا أم تستقل سيارة أجرة .. ثم تعود لتنام فى مكانها وتموت مجددا ؟

قال العميل وهوينفث دخان سجائره :

ـ لا أعلم كيف تعود إلى هنا .. ولكن فى كل مرة كنت أعود فيها بعد دفنها أجدها هنا فى انتظارى .. فى نفس المكان .. إن هذه الجثة ملعونة .. لا تريد أن تُدفن .. أو ربما هناك لعنة تجعل الجثة تعود إلى مكانها .

وأشار إلى المكان الذى يجلس فيه (شهاب) وهويحدق فى الجثة التى أمامه بنظرات شك .. ثم قال الأخير :

ـ هل تمزح معى ؟

قال العميل وهويضحك ضحكة مبتورة :

ـ ليت الأمر كذلك .. ليتها كانت مجرد مزحة نضحك عليها سويا وننتهى .

صمت لبرهة ثم تابع قائلا بجدية :

ـ ولكنها الحقيقة المخيفة .

قال (شهاب) وعقله لا يستطيع قبول ما يسمعه حتى وإن بدت لهجة الرجل صادقة :

ـ ربما أنت لم تدفنها من الأساس .

قال العميل متعجبا :

ـ كيف ؟

كان (شهاب) يملك الاجابة على هذا السؤال ولكنه خشى أن ينطقها .. كان يريد أن يقول له (ربما كنت تحلم بأنك دفنتها ولكنك لم تدفنها) .. شعر أن

هذه الاجابة ستكون سخيفة فلم يقلها .. وكانت لديه إجابة أخرى (ربما كنت تهلوس تحت تأثير مخدر ما .. فتخيلت أنك دفنتها) .. لم يقل هذه الاجابة أيضا خشية إثارة غضبه .

قال العميل :

.هل تعتقد أننى كنت أحلم أوأهلوس ؟

لم ينطق (شهاب) بأى حرف .. كان مندهشا مما سمعه .. هذا العميل إما ذكيا أو قارىء للأفكار .

نفض العميل ملابسه بعصبية وتابع قائلا :

.هل تعتقد أن هذا التراب أتى من فراغ ؟ .. لقد عدت لتوى من المقابر .. لقد دفنتها هناك للمرة الثالثة .. ولكن .. لا فائدة .

ثم ألقى سيجارته على الأرض وسحقها بحذائه سحقا وكأنه يفرغ غضبه فى هذا الفعل .

فكر (شهاب) فى هذا الأمر الخارق للطبيعة .. هو لا يؤمن بمثل هذه الأمور .. يرى أن كل شىء خارق للطبيعة له سبب منطقى يجعله طبيعيا ولكننا لا نعرف هذا السبب .

ربما كان العميل صادقا فيما يقول .. ربما دفن هذه الجثة ثلاث مرات من قبل ولكن .. من الذى أخرجها وأحضرها إلى هنا ؟

وتذكر (شهاب) أنه شاهد فيلما أجنبيا يحكى عن مجموعة من الشباب المراهقين ارتكبوا جريمة قتل عن طريق الخطأ ثم قرروا ألا يعترفوا بما ارتكبوه ودفنوا الجثة بأنفسهم حتى لا يتورطوا ويدخلوا السجن .. ولكن كان هناك شاهد رأى كل شىء .. أخرج الجثة بعد انصرافهم من المكان ثم راح يهددهم .. ويضع الجثة أحيانا فى منازلهم حتى يثير ذعرهم .

ربما هناك شاهد فى الموضوع وهو الذى يعيد الجثة إلى مكانها .

سأل (شهاب) العميل :

.هل تربطك أى صلة بالقتيل ؟

توقع ألا يجيبه لكنه قال بحزن :

- كان أعز أصدقائى .

سأله عن سبب قتله .. الدافع وراء هذه الجريمة .. قائلا له :

- لماذا ؟

فهم العميل السؤال المختصر فأجاب :

- اختلاف فى وجهات النظر .

الشيطان اللعين حرض العميل على قتل صديقه والسبب : اختلاف فى وجهات النظر .

ربما كان السبب أكبر من مجرد تلك الكلمات البسيطة لكن العميل لا يريد التحدث فى الأمر واكتفى بما قاله .

فكر (شهاب) مرة أخرى فى هذه المسألة المحيرة .. ربما لا يوجد شاهد ..

ربما كان العميل هو المسئول عن كل هذا .

وتذكر (شهاب) قصة أجنبية قد قرأها منذ زمن بعيد .. لذا لا يتذكر تفاصيلها جيدا .. يتذكر فقط أنها كانت تحكى عن صديقان يعملان فى منطقة جليدية .. وكان أحدهما يحتضر فطلب من صديقه ألا يدفنه فى الجليد إذا مات .. ومات الرجل ولم يجد الصديق حلا سوى دفنه فى الجليد .. ولم يفى بوعده لصديقه الميت وهذا أثر عليه نفسيا .. فعاد من الدفن ونام قليلا وعندما استيقظ وجد جثة صديقه أمامه .. انتابه الرعب وعاد مرة أخرى ليدفنه من جديد فى الجليد .. ثم نام مرة أخرى فى مسكنه ليجد الجثة فى انتظاره عند استيقاظه .. وهكذا تكرر الأمر أكثر من مرة حتى دفعه للجنون .. فى نهاية القصة نكتشف أن البطل نفسه هو الذى كان يسير أثناء نومه ليُخرج جثة صديقه حتى يفى بوعده ولا يتركها فى الجليد .

طبّق (شهاب) نفس القصة هنا .. فخمن أن العميل هو الذى كان يُخرج الجثة بنفسه من قبرها ليضعها فى سيارته ويعود بها مجددا إلى هنا .. وربما لا يدفنها من الأساس .. ويذهب إلى المقابر بصحبتها فقط .. وهذا هو الاحتمال الأقرب لأن ملابس الجثة نظيفة تماما .. إذا استثنينا بقعة الدم الكبيرة .

وهذا يعنى أن العميل كان يدخل المقابر بدونها .. فملابسه توحى أنه كان

مدفونا منذ فترة وجيزة .

ولكن لا توجد أى آثار للدماء سوى فى هذه الغرفة فقط .. وهذا يعطى استنتاج واحد هو أن الجثة لم تتحرك من هذا المكان .. لم يتم نقلها .. هناك احتمال آخر هوأن العميل قام بتنظيف الدماء لكن (شهاب) لم يضع هذا الاحتمال فى عقله .

وضع (شهاب) الجثة فى جوال قديم كالعادة .. وقال للعميل :

ـ لا تقلق يا عزيزى .. سأخلصك من هذه الجثة نهائيا .

قال العميل محبطا :

ـ أنت متفائل .

قال (شهاب) بثقة :

ـ اطمئن .. كل الجثث التى دفنتها من قبل ظلت مكانها .. وهذه الجثة أيضا ستفعل مثلهم .

قال العميل فى لهجة تحد واضحة :

ـ وماذا لو عادت ؟

قال (شهاب) بثقة كبيرة :

ـ لن تعود .

كرر العميل سؤاله قائلا :

ـ وماذا لو عادت ؟

كرجل لا يؤمن أبدا بمثل هذه الأمور الخارقة قال (شهاب) بثقة مفرطة :

ـ حسنا .. اتصل بى إذا عادت .. وسأعيد لك المبلغ الذى دفعته و..

قاطعه العميل قائلا :

ـ لا يهمنى المال .. ما يهمنى هو التخلص منها .. وأعتقد أنك ستفشل فى ذلك .

قال (شهاب) وهو يحمل الجوال الذى به الجثة :

ـ هناك نسبة احتمال ولو ضئيلة بأننى لن أفشل ولهذا اتصلت بى .. لأنك لو كنت متأكد تماما من عودتها لما اتصلت بى .

ـ ربما أريد شاهدا معى على هذه الظاهرة الخارقة .. حتى أتأكد من عدم جنونى .

قال (شهاب) وهو يتجه نحوباب الشقة حاملا الجوال :

ـ لا توجد أى ظاهرة خارقة .. ولو كان كلامك صحيحا وعادت الجثة من جديد اتصل بى .. سأرد لك ما دفعته وآخذها مرة أخرى .

سأله العميل متعجبا :

ـ لماذا ؟

أجابه (شهاب) وهو يفتح الباب :

ـ سوف أستخدم طريقة أخرى معها .. طريقة لا تخيب أبدا .

سأله العميل بدهشة :

ـ لماذا لا تستخدم هذه الطريقة الأخرى معها الآن .. طالما أنك تقول أنها لا تخيب أبدا ؟

ـ لأننى لا أحب استخدامها .. ألجأ إليها فى حالات نادرة جدا .. سلام .

قال العميل ساخرا :

ـ إلى لقاء قريب .. أعتقد أنى سأراك مرة أخرى هذه الليلة .

ـ وأنا أعتقد أنها لن تعود مرة أخرى .

تُرى أيهم سيصدُق تخمينه ؟

•••••

انتهى (شهاب) من دفن الجثة فى مكان بعيد جدا .. وسط الصحراء .. تأكد للمرة المليون أنه وحيدا .. لا توجد أى سيارات خلفه .. لا أحد يراقبه .. لا يوجد أى شهود .. لن يحاول أحد إخراج الجثة وإعادتها لمسرح الجريمة .. حتى هو نفسه لن يستطيع .. لأنه دفنها فى مكان غير مميز .. إن التنقيب عن هذه الجثة فى وسط هذه الصحراء الواسعة مثل البحث عن إبرة فى كومة من القش .

عاد إلى سيارته مطمئنا .. وضع أدوات الحفر فى حقيبة سيارته ثم جلس خلف عجلة القيادة عندما سمع صوت الاستدعاء ..

الاستدعاء السادس لهذه الليلة !

مهمة جديدة .. كان يمكن أن تحصل على لقب (المهمة السادسة) لكن هناك مهمتان فى هذه الليلة لا يمكن احتسابهما .. الأولى مهمة خطأ .. جثة لم تحصل على هذا اللقب بعد .. شجار عائلى لم ينتهى بأى قتلى .. ربما يكون قد انتهى وصارت هناك جثة جديدة أوجثتين ولكنه لن يعلم .. والمهمة الأخرى كانت فخا .. كانت هناك جثة بالفعل ولكنه لم يدفنها أوينظف مكانها ولم يتقاضى أى شىء عنها .. لذا لا يمكن اعتبارها مهمة .

هذا هوالاستدعاء السادس من أجل مهمة رابعة !

ست مرات يرن فيها هاتف العمل فى هذه الليلة المشحونة بالدم !

مع العلم أن هناك ليال كثيرة تمر على منظف الجرائم بدون أدنى عمل .. ودون أن ينطلق فيها صوت رنين الاستدعاء ولو مرة واحدة .. حتى لو كانت عن طريق الخطأ .. فقد يجلس (شهاب) شهورا طويلة فى منزله دون أن يخرج لممارسة عمله كمنظف جرائم .. فقط يخرج وحيدا فى تلك الليالى الطويلة المملة ليتظاهر بأنه يعمل فى مستشفى، ولكنه يقضى الليل فى أى مكان عام أومسرح أوسينما حتى وقت نوم الأبناء .. ثم يعود إلى منزله وهم نائمين .. فلا يشعروا بعودته .

نظر (شهاب) إلى الرقم .. شعر بخيبة الأمل !

إنه نفس الرقم الذى اتصل به من قبل !

خمن (شهاب) أن العميل يتصل به ليشكره على تخليصه من الجثة .. بالتأكيد ليس هناك أى شىء آخر .

- آلو..

- لقد عادت الجثة ..

•••••

كان صوت العميل يدل على رعبه الشديد وهو يقول :

ـ لقد عادت الجثة .. إلى نفس مكانها .. كما توقعت .

قال (شهاب) وهولا يستطيع تصديق ما يسمعه :

ـ ما الذى تقوله ؟

ـ أنت لا تصدقنى طبعا !

ـ هل أنت متأكد ؟

ـ متأكد تماما .

ـ سآتي حالا .

نظر (شهاب) إلى الصحراء الشاسعة أمامه وعقله لا يستطيع استيعاب الأمر .. كيف خرجت الجثة ؟ .. هو لم يتحرك من مكانه بعد .. كيف حدث هذا ؟ .. لابد أن هناك تفسير .. هو لا يؤمن بنظرية (اللعنة) هذه .. إن اللعنة الحقيقية هوأن يعود لنفس المهمة من جديد .

لابد أن العميل يخرف !

هكذا فكر (شهاب) .. لا بد أنه يتخيل أشياء .. يرى هلاوس .. ربما كان مريضا عقليا .. أو ربما يتعاطى المخدرات بكثرة .. أو مدمن خمور .. لابد من تفسير منطقى لكلامه .. أما هذه الأمور الخارقة فلا يمكن أن يقبلها عقل (شهاب) .. لا يمكن أن تتحرك الجثة وتنتقل عبر المكان إلى منطقة بعيدة جدا فى لحظات وبدون أى وسيلة مواصلات !

عاد إلى نفس العنوان واستقبله العميل مرة أخرى .. قال له :

ـ ألم أقل لك ؟

قال (شهاب) مندهشا :

ـ الجثة عادت فعلا !

لم ينبس العميل ببنت شفة .. فقط أشار إلى الداخل .. فذهب (شهاب) إلى مكان الجثة المعتاد .. ووجدها هناك بالفعل .

أخرج (شهاب) - بهدوء شديد - من جيبه المبلغ الذى حصل عليه فى هذه المهمة وأعاده إلى العميل الذى قال له :

- لا يهمك .. المهم أن تخلصنى منها .

قال (شهاب) وهومصمم على إعادة المبلغ له :

- الاتفاق اتفاق .

أخذ العميل أمواله وسأله باهتمام :

- ما الذى ستفعله الآن ؟

انحنى (شهاب) على الجثة .. ظل لدقائق ينظر لها .. كانت كما رآها أول مرة .. لا توجد ذرة تراب أو رمال عليها .. نظيفة تماما إلا من بقعة الدم عند منطقة البطن .. بدأ (شهاب) يقتنع بأمر تلك اللعنة .. يبدو أنها حقيقية .. ولكن هل اللعنة مرتبطة بالمكان أم بالجثة أم بجريمة القتل نفسها ؟ لو أنها مرتبطة بالمكان فهذا يعنى أن أى جثة تُقتل هنا ستعود إليه دائما .. لو أنها مرتبطة بالجثة فهذا يعنى أنه لا يمكن التخلص منها أبدا وأنها لوكانت قد قُتلت فى أى مكان آخر كانت ستعود إليه أيضا .. أما لوكانت اللعنة مرتبطة بطريقة القتل نفسها فيجب أن يسأل العميل عنها ويحذره من عدم استخدامها مرة أخرى .. ويحذر الجميع أيضا منها وإلا سيجدوا أمامهم مئات من الجثث لا تريد الدفن وتعود إلى أصحابها مجددا .

قال (شهاب) وهو يضع الجثة مرة أخرى فى جوال قديم :

- لا تقلق .. سأخلصك منها نهائيا .

قال العميل ساخرا :

- هذا ما قلته لى من قبل .

قال (شهاب) وهو يحمل الجوال :

- سأستخدم الطريقة التى لا تخيب أبدا .

قال العميل متحديا :

- وماذا لو عادت ؟

هذه المرة لم يستطع (شهاب) الرد فقد تحداه من قبل وراهنه .. وخسر الرهان .. عادت الجثة فعلا وأعاد له ثمن عملية التخلص منها .. ما الذى يمكن أن يراهن به هذه المرة ؟ وهل لديه الثقة اللازمة للمراهنة ؟

قال (شهاب) وهو يتجه نحو الباب :

- إذا عادت .. اتصل بى .

وخرج بسرعة قبل أن يسمع كلمة ساخرة أخرى من العميل .

وضع الجوال فى حقيبة سيارته .. هذه المرة كان يشعر بخوف من الجوال وبما يحتويه .. لقد دفن الكثير من الجثث من قبل .. ورأى الكثير جدا منها .. لم يعد يهتز له شعرة لمرآها .. لكن هذه الجثة تجعله يشعر بالخوف .. هذه هى المرة الأولى التى يرى فيها جثة بعد دفنها .

كيف صعدت إلى سطح الأرض ؟ كيف عادت إلى مكانها ؟ هل يمكن أن تعود مرة أخرى ؟ هل يمكن أن تطارده مثلما تطارد القاتل ؟ هل يمكن أن تعود إلى منزله بدلا من العودة إلى منزل القاتل ؟ هل يمكن أن تظهر بجواره الآن وهو يقود سيارته ؟

امتلأ عقله بعشرات الاحتمالات المخيفة .. شعر بالندم لأنه عاد مجددا لنفس العميل .. لقد خسر ما كسبه فى هذه المهمة الأخيرة .. وسوف يتخلص من نفس الجثة مرة أخرى ومجانا .. وربما تطارده أيضا .. ربما يعود إلى فراشه فيجدها تنتظره هناك ! تحت الغطاء أو تحت السرير !

هذه المرة قرر أن يتخلص منها بطريقة أكثر فاعلية .. طريقة لا تخيب أبدا.

النار .

وهكذا تراه منطلقا بسيارته نحو أقرب محرقة .

هو ليس معتادا على استخدام هذه الطريقة فى التخلص من الجثث .. عادةً يدفنها .. لكنه قام بحرق بعض الجثث من قبل .. تلبية لرغبة العميل ..

هذه المرة سيحرقها .. دون أن يطلب العميل منه ذلك .

إن النار هى الوسيلة الأمثل حسب رأيه للتخلص من هذه الجثث العنيدة التى ترفض الدفن .

لكن .. ماذا لو عادت ؟ هل يمكن أن يحدث هذا ؟

لو اتصل به العميل مرة أخرى فهذا يعنى أنها قد عادت .. ما الذى سيفعله وقتها ؟ .. قال (شهاب) لنفسه :

- لن أرد عليه .

وفجأة ..

توقفت خواطره عندما رأى أمامه لجنة ..

خلع قناعه بسرعة ووضعه تحت مقعده .. ثم أوقف سيارته عندما رأى الضابط يشير إليه .. وكان خلفه الكثير من العساكر وسيارات الشرطة .

تماسك (شهاب) .. هذه ليست المرة الأولى !

قال الضابط له :

- بطاقتك ورخصتك .

قال (شهاب) بمنتهى الهدوء :

- أرنى بطاقتك أولا لأتأكد انك ضابط .. إن القانون يقول ..

قاطعه الضابط قائلا :

- أعلم .. أعلم .

وأراه بطاقته .. تفحصها (شهاب) جيدا ثم أعادها للضابط الذى قال له:

- والآن .. هل يمكن أن أرى بطاقتك والرخصة .

أعطاه (شهاب) كل ما طلبه .. قال له الضابط :

- من فضلك .. افتح حقيبة سيارتك .

●●●●●

تفتيش

قال (شهاب) بمنتهى الهدوء :

- هل لديك تصريح بتفتيش حقيبة السيارة ؟

كان (شهاب) يستغل القانون جيدا لصالحه .. يعرف حقوق المواطن .. يستطيع إخراج نفسه من أى ورطة عن طريق ثغرات القانون التى يحفظها عن ظهر قلب .. ربما أفضل من محامين كثيرين فى زمنه .

قال الضابط وقد أدرك أن هذا المواطن يعرف القانون جيدا :

- نعم .. لدى تصريح .. وها هو.

وأعطى (شهاب) التصريح ليراه .. كان التصريح سليما .. بإمكان هذا الضابط تفتيش أى حقيبة سيارة .. هذا يعنى أن (شهاب) مجبرا الآن بقوة القانون أن يفتح سيارته .. ولواعترض ستكون العواقب وخيمة .

خرج (شهاب) بهدوء شديد يُحسد عليه من سيارته وقال للضابط :

- لمَ كل هذا ؟ ما الأمر ؟ هل حدث شىء مؤخرا ؟

أجَابه الضابط :

- لا .. أبدا .. إن الدولة بأمان .. إنه فقط إجراء روتينى .

فتح (شهاب) حقيبة سيارته وهولا يعلم ما ستؤول إليه الأمور .. لوتصرف بحماقة سيقضى باقى عمره فى السجن .. لابد أن يتحلى بالذكاء والهدوء ليجتاز هذا الموقف العصيب .. التهور ممنوع .

نظر الضابط إلى محتويات الحقيبة .. كان هناك الجوال الذى به الجثة الملعونة بالإضافة لأدوات الحفر

سأله الضابط :

- ماذا تعمل ؟ فلّاح ؟ أم بَنّاء ؟

أجابه (شهاب) بهدوء :

ـ لا هذا ولا ذاك .

قال الضابط وهو يمد يده نحو الجوال :

ـ بطاقتك تقول أنك تعمل أعمال حرة .. ما هى طبيعة هذه الأعمال التى تجعل هذه الأشياء فى حقيبة سيارتك ؟

ـ أنا أعمل فى مجال النقل .. أنقل أشياء من مكان إلى مكان .. دون أن أسأل العميل عن طبيعة هذه الأشياء .

تحسس الضابط الجوال وسأله :

ـ هل هذه خضروات أم لحوم ؟

حاول (شهاب) التماسك لأقصى مدى وقال :

ـ لا أعلم .. مهمتى هى النقل .. لا أطرح أسئلة .

ـ وهل تستخدم سيارتك الخاصة فى هذه المهام ؟

ـ نعم .. ومعى تصريح بذلك .

وأخرج (شهاب) من جيبة التصريح وأعطاه للضابط الذى ألقى عليه نظرة سريعة ثم أعاده له .

تحسس الضابط الجوال مرة أخرى ثم لمح بقعة الدم .. فقال بحدة :

ـ إفتح الجوال .

●●●●●

الموقف عصيب .. لابد أن يتعامل (شهاب) معه بمنتهى الذكاء ..

لو فتح الجوال .. ستظهر الجثة .. سيكون من الصعب تبرير وجودها معه .. ربما يتم القبض عليه .. ربما يُسجن .. وربما يفلت من العقاب بسبب ثغرة قانونية فى الإجراءات وحسب مهارة محاميه .. ربما ينال حريته بعد أسابيع أوشهور أو سنوات من السجن .. ولن يستطيع العودة بعدها إلى هذه المهنة لأنه سيكون فى القائمة السوداء .

كان (شهاب) مستعدا لهذا الموقف .. لذا قال بهدوء :

ـ هل معك تصريح بتفتيش الجوال ؟

فوجئ الضابط بالسؤال وأجاب :

ـ لا .

قال (شهاب) على الفور :

ـ إذن لن أفتحه .

صاح الضابط بلهجة حادة :

ـ ولكنى أطلب منك أن تفتحه .

ـ وأنا أطلب منك التصريح .

قال الضابط محاولا التلاعب بأعصاب (شهاب) والضغط عليها :

ـ أرى هنا بقعة دم .. وأشك أن هذا الجوال يحوى جثة بداخله .. لذا سأفتح الجوال لأتأكد من صحة استنتاجى .

ومدّ يده لفتح الجوال .. وتجمع العساكر حوله .. فقال (شهاب) :

ـ حسنا .. افتح على مسئوليتك الخاصة .. أنا مجرد نقّال .. لا شأن لى بما أحمله .. ربما كان الجوال يحمل خضروات وفاكهة معبأة بطريقة خاصة .. والبقعة الحمراء التى رأيتها ربما كانت عصير طماطم .. ربما كان الجوال يحوى لحوما والدماء دماء حيوانية .. وقد تتلف بسبب فتح الجوال .. ستتحمل أنت المسئولية الكاملة والتعويض اللازم للعميل وسوف أقاضيك أنا أيضا لأنك أخرتنى عن عملى فى توصيل الطلبات لأن الذى ينتظرنى سوف يخصم جزء من راتبى بسبب هذا التأخير .. وقد يوبخنى وينهرنى .. وقتها سأقاضيك من أجل الضرر النفسى أيضا .. وربما بسبب هذا التأخير يدفع العميل شرط جزائى فيقاضيك لتتحمل معه هذه الخسارة .. وربما تتعرض هذه المنتجات الغذائية لفيروسات فى الهواء فتصبح غير صالحة للاستخدام الآدمى .. فيتناولها المستهلكين فيتعرضوا للتسمم أو أمراض غذائية وسأحملك وقتها المسئولية الكاملة ..

شعر الضابط أنه يقف أمام محامى وليس نقال .. ما كل هذه القضايا ؟ .. شعر بارتباك شديد .. ماذا يفعل ؟

السيارات تجمعت خلف سيارة (شهاب) .. طابور طويل .. الكثير من

الضوضاء .. الكل متعجل .. آلات تنبيه .. إزعاج مستمر .. لا أحد يصبر .. عصر السرعة .. كل هذه القضايا المحتملة عندما طلب الضابط فتح الجوال فماذا لو أن هؤلاء السائقين المتعجلين وأصحاب السيارات الأخرى تجمعوا ورفعوا قضايا عليه بسبب تعطيل مصالحهم ؟

شعر (شهاب) أن الضابط اقتنع فقال له :

. ما رأيك الآن ؟

صمت الضابط للحظات ثم حسم أمره وقال :

. سأفتح الجوال وليكن ما يكون .. وسأتحمل المسئولية الكاملة .

قال (شهاب) وهو يرى يد الضابط تمتد نحو الجوال :

. المسئولية الكاملة ! .. حسنا .. ولكن هل وضعت الموت فى حساباتك ؟

توقف الضابط قائلا :

. هل تهددنى ؟

ورفع سلاحه فى وجه (شهاب) .. وبعد هذه اللحظة رفع جميع العساكر أسلحتهم معه .. فى إتجاه واحد ..

رأس (شهاب) .

●●●●●

الذعر

رفع (شهاب) يديه لأعلى مستسلما وقال :

ـ لم أكن أقصد تهديدك .

قال الضابط بغضب :

ـ ماذا تقصد إذن ؟

شعر (شهاب) بالذعر من كمية الفوهات المصوبة نحوه فقال للضابط :

ـ اطلب منهم أولا أن يخفضوا أسلحتهم وسأشرح لك كل شىء .

قال الضابط بصرامة :

ـ لا .. اشرح أولا .

قال (شهاب) محاولا إقناعه :

ـ اطلب منهم خفض أسلحتهم لأن هذا ليس فى مصلحتك .. أنا رجل أعزل .. وليس ضدى أى اتهام .. ولوانطلقت رصاصة طائشة وقتلتنى الآن ستتحمل أنت المسئولية الكاملة عن ذلك لأنك وجهت سلاحك لى أولا .. وهم فعلوا مثلك .. ولم تأمرهم بخفض أسلحتهم .. والكل هنا شاهد على ذلك .

ونظر (شهاب) حوله .. ففعل الضابط مثله .. رأى أن هناك أناس كثيرون يرون المشهد .. سائقي السيارات وغيرهم .. كلهم سيكونون شهودا .

قال الضابط آمرا جنوده :

ـ أخفضوا أسلحتكم .

نفذوا أوامره على الفور .. قال الضابط :

ـ والآن .. اشرح .

قال (شهاب) :

ـ أقسم لك أنى لا أعلم محتوى هذا الجوال .. لذا قد يكون شيئا مميتا .. وهذا ما كنت أقصده .. ربما نموت جميعا الآن لو تم فتحه .. ربما كان سلاحا

بيولوجيا تابعا للحكومة .. أو نفايات ذرية أو أى شىء خطيرا قد ينفجر إذا تفاعل مع الهواء الجوى .. فنموت جميعا فى لحظة واحدة .

ظل الضابط صامتا لفترة .. ثم لوح بيديه لمن حوله قائلا :

. دعوه يمُر .

تنفس (شهاب) الصعداء وأغلق حقيبة سيارته وعاد إلى عجلة القيادة وانطلق بعيدا .

•••••

تخلص (شهاب) من الجثة فى المحرقة .. وتوقع اتصال من العميل فى أى لحظة .. لكنه لم يتصل .. فهل هذا يعنى أن الجثة لم تعد ؟ أم أنها عادت ولكن العميل لم يرد إزعاجه بالاتصال وقرر الاستعانة بمنظف آخر ليدفنها ؟ أو أن العميل ترك هذا المنزل المشئوم للجثة العائدة ؟ أم أنه انتحر ليتخلص من هذه الجثة وهذه المطاردة الجهنمية ؟

لم يتلق (شهاب) أى اتصال آخر من هاتف العمل ..

انتهت الليلة !

النتيجة : ست مرات .. ثلاث مهام .. مكسب مهمتين ..

فى المهمة الثانية كان المكسب مضاعفا .. فضلا عن مكسب المهمة الأولى .

أما المهمة الثالثة كانت استدعاء خاطئ، والرابعة كانت مصيدة .. المهمة الخامسة والسادسة هما مهمة واحدة .. دفن جثة واحدة .. مرتين .. فى نهاية الليلة اكتشف أنه لم يكسب شيئا سوى من المهمتين الأولى والثانية فقط .

عاد (شهاب) إلى منزله مرهقا .. لا يريد الخروج مرة أخرى فى هذه الليلة المنحوسة .. لو عاد إلى منزله بعد المهمة الثانية لكان أفضل له .. فهو لم يستفد شيئا بعدها .

دخل غرفة المكتب على أطراف أصابعه حتى لا يشعر به أبنائه .. ثم أغلق الباب ورائه .. فتح الخزينة ووضع بها المال الذى جمعه فى هذه الليلة مع القناع .. تخلص من القفازات فى سلة المهملات .

أشعل التليفزيون ـ الموجود بغرفة المكتب ـ يدويا .. لم يستخدم الأمر الصوتى

.. خشى أن يعطى الأمر الصوتى للجهاز فيقوم بتشغيل جميع التليفزيونات الموجودة بالمنزل حتى التى فى غرف أبنائه .

اختار القنوات الإخبارية الخاصة بالمدينة .. ثم اختار قناة الحوادث (الدم)..

فهو يهتم بمتابعة أخبار الحوادث والقضايا والتحقيقات ..

من برامجه المفضلة على قناة (الدم) : برنامج (الجريمة لا تفيد) و(الجريمة الآن) و(الجريمة فى أسبوع) و(الجلسة علنية) .. أما بقية البرامج فكان يجدها سخيفة مثل (جريمة شبه كاملة) و(خلف أسوار السجن) و(الجريمة والعقاب) .. بالإضافة لبرامج المسابقات التافهة مثل (من الجانى؟) و(أنت الضابط!) .

كان البرنامج المعروض الآن على قناة (الدم) هو(الجريمة فى أسبوع) .. وكان المذيع الأنيق يقول :

. لازالت التحريات مستمرة حول جريمة قتل الفنانة الشهيرة (سوسو أنور) التى لقت مصرعها فى تمام الساعة الحادية عشر ليلة أول أمس .. ولم يجد رجال البحث الجنائي أى بصمة داخل شقتها قد تدل على الجانى ..

ابتسم (شهاب) ابتسامة شيطانية خبيثة عندما سمع الجملة الأخيرة .. وربما شعر ببعض الفخر لأنه هو المنظف لتلك الجريمة ..

تابع المذيع قائلا :

. ماتت المسكينة فى منزلها عن عمر يناهز الستين .. لم يرحم القاتل سنها الكبير فقام بطعنها سبع طعنات فى أماكن متفرقة من جسدها و..

قال (شهاب) معترضا :

. سبعة ! كيف ؟ كانوا طعنتين فقط ! يا للإعلام !

. " من أشهر أفلامها (حب فوق سطح القمر) و(حب تحت الماء) و(حب بين السماء والأرض) و(حب بين الأطلال) وسلسلة أفلام (الحب عبر العصور) وماتت قبل أن تكمل تصوير أحدث أفلامها (حب فى الخريف) "

نهض (شهاب) إلى ثلاجته .. ليحضر شيئا ليأكله .. وعندما عاد كان المذيع

قد انتقل إلى حادثة أخرى :

" تم القبض على (سعد كمال الشوادفى) بتهمة قتل الكابتن (رضا جويل) .. حيث وجد فريق البحث الجنائى بصماته فى مسرح الجريمة وتبين بعد ذلك أن ... "

علق (شهاب) على الخبر قائلا :

ـ لم أنظف هذه الجريمة .. لابد أنه استعان بمنظف مبتدئ .. وربما لم يستعن بأحد من الأساس .

ثم تناول ملعقة من طبق المكرونة أمامه وأردف :

ـ أغبياء !

ثم أمسك الريموت وضغط على أحد أزراره وغيّر القناة .. إلى قناة رياضية تحمل اسم (الرياضة ٨) كانت تعرض مباراة كرة النار بين فريق (سيارات النيل) و(أسمنت الجوادى) .

ضغط على الزر مرة أخرى .. قناة رياضية تحمل اسم (كُرة ٩) تعرض تحليلا لمباراة كرة قدم .. ضغط على الزر مرات كثيرة .. فتجاوز سبعة وثلاثين قناة رياضية فى أقل من دقيقة .. حتى وصل لقناة الأفلام .

اختار القنوات المحجوبة .. كتب كلمة السر .. التى وضعها حتى لا يستطيع أبنائه مشاهدة هذه القنوات .

ظهرت أمامه الكثير من القنوات الإباحية .. يصل عددها إلى ١٣٨٩٥٦٣٥ قناة من جميع أنحاء العالم .. من بين هذه القنوات توجد قنوات رياضية إباحية وقنوات الحوادث الإباحية والأخبار الإباحية .. وهناك أيضا قنوات السياسية الإباحية وقنوات الرسوم المتحركة الإباحية .. والدراما الإباحية .. والكوميديا الإباحية .. وقنوات العرض المباشر الإباحية .. وقنوات تليفزيون الواقع الإباحية .... إلخ

شعر (شهاب) ببعض الملل وهو يأكل المكرونة بينما يشاهد التليفزيون .. فراح يبحث عن قنوات جديدة .. اختار (البحث اليدوى) من القائمة .. وضغط على الزر لتأكيد الموافقة .. فظهرت له ١٢ قناة جديدة .. منها ٩ قنوات إباحية و٣ قنوات عادية لجميع أفراد الأسرة .

وضع الفئة الأولى ضمن القنوات المحجوبة بكلمة سر .. وراح يفتح القنوات الأخرى .. كانت إحداها تحمل اسم (دراما ١٧) تعرض الحلقة ١٧٨ من الجزء السابع من مسلسل (رشا والذئاب) وقناة أخرى (تياترو٦) تعرض مسرحية (سماء نيوتن) .. القناة الأخيرة كانت باسم (حوادث ٣) .. كاد أن يتخطاها لولا أن الصورة المعروضة عليها جذبت انتباهه ..

إنها صورة لرجل فى الأربعين من عمره يبتسم ..

ورغم ابتسامة الرجل الهادئة إلا أن (شهاب) شعر بالذعر من مرأى هذه الصورة .

لأن هذا الرجل هو(الجثة الملعونة) .

جثة الرجل التى دفنها مرة .. وحرقها مرة أخرى .

وضع (شهاب) سماعات wireless (بلا أسلاك) على أذنيه حتى يسمع ما يقال على القناة بوضوح .. دون أن يشعر به أحد .

شعر (شهاب) بالقلق من رؤية الصورة تملأ الشاشة وتلفت حوله .. توقع أن يرى الجثة الملعونة جالسة بجواره على الأريكة .

لقد خرجت من قبرها مرة ما الذى يمنعها من الخروج من المحرقة ؟ وربما عادت له هذه المرة لتحل اللعنة به هو؟

ضغط على زر الريموت .. رفع مستوى الصوت ..

قالت المذيعة وهى تعرض صورة أخرى لنفس الرجل .. ولكنه هذه المرة ليس مبتسما كما كان فى صورته السابقة :

- وهذه هى صورة أخيه التوأم (صابر) .. ولا يزال الأخوين (صابر) و(صبرى) مختفيان .. لو لديكم أى معلومات عنهما اتصلوا بالرقم الظاهر على الشاشة .

ضحك (شهاب) بقوة وقال :

- توأمين ! آه يا ابن الـ ....

لقد تخلص القاتل من جثتين .. وبدون أن يدفع مليما .

ابتكر قصة اللعنة ليدفن جثتين بسعر واحدة .. شرب المنظف الخدعة ودفنهما مجانا !

●●●●●

دخل (شهاب) غرفة ابنه ليطمئن عليه قبل نومه .. وجده نائما فى سريره.. غطاه جيدا ثم خرج بهدوء .

اتجه إلى غرفة ابنته .. كان بابها مفتوحا .. قال بصوت أبوى حنون :

ـ (سلمى) .. هل أنت نائمة يا حبيبتى ؟

لم ترد .. ولو أنها نائمة فلن ترد بالتأكيد .

دخل على أطراف أصابعه .. وجد الغطاء يملأ السرير كله .. قال لها :

ـ ما كل هذا الغطاء ! .. الدنيا ليست بهذه البرودة .. ولماذا تغطى رأسك أيضا ؟

واقترب أكثر من السرير ..

وكانت المفاجأة .

لم يجد ابنته .. بل وجد وسادة طويلة مكانها على السرير .

خرج من الغرفة وهو يصيح بغضب :

ـ (سلمى) .. أين أنت ؟

●●●●●

اختفاء

خمن (شهاب) أن (سلمى) ليست بالمنزل .. طالما أنها قد وضعت وسادة بدلا منها فى السرير فهذا يعنى أنها قد خططت للخروج وأرادت أن توهمه أنها نائمة .

وربما فعلت هذا من قبل فى ليالى سابقة .. تستغل فرصة غيابه عن المنزل وتخرج .

شعر بالغضب الشديد وذهب إلى غرفة أخيها مرة أخرى وأيقظه ليسأله عن أخته .. فأجاب الطفل المسكين ببراءة :

ـ نائمة فى غرفتها .

(سمير) لا يعلم شيئا عن أخته .. تعبيرات وجهه تقول أنه لا يكذب .. لم يشترك معها فى هذه الحيلة .

اتصل (شهاب) من هاتفه المحمول على رقم هاتف ابنته .. جاءته الرسالة المسجلة :

ـ الرقم المطلوب مغلق أو غير متاح .. حاول الاتصال فى وقت لاحق .

تلك الرسالة المسجلة التى لم تغيرها شركة المحمول منذ عقود .

هل أغلقت (سلمى) هاتفها .. أم أن البطارية قد فرغت ؟

تساءل الأب بكل قلق :

ـ أين أنت يا (سلمى) ؟ كيف تخرجين دون استئذان ؟ وفى هذه الساعة المتأخرة ؟

جلس على الأريكة فى الصالة منتظرا عودتها .. عينيه على الباب متوقعا دخولها فى أى لحظة .. يفكر فى المكان الذى يمكن أن تكون فيه ..

أين هى الآن ؟ وبرفقة من ؟ وماذا يفعلان ؟

ظل يفكر كثيرا حتى غلبه النوم .. الإرهاق الشديد جعل جسده يستسلم للنوم بسهولة .

وفى الصباح .. استيقظ من نومه فزعا بسبب كابوس مريع ..

نظر حوله فاكتشف أنه بات ليلته على الأريكة فى الصالة .. نهض من مكانه وصعد إلى غرفة ابنته ليلومها ويوبخها على ما فعلته بالأمس ..

سوف يستجوبها ويعرف منها تفاصيل ليلتها بالكامل .. وقد قرر أن يعاقبها بشدة حتى لا تكرر هذه الجريمة مرة أخرى .. سوف يحرمها من مصروفها أو يمنعها من الخروج لأيام أو يحرمها من سيارتها لأسابيع أو..

إن اختيار العقوبة المناسبة مشكلة ! لكنه سيعاقبها بكل تأكيد وبدون إبطاء..

المشكلة الأكبر أنه لم يجد من يعاقبه !

لم يجد ابنته فى غرفتها !

الغرفة كانت كما تركها آخر مرة .. السرير كما هو.. هذا يعنى أنها لم تعد ليلا .. وأنها باتت بالخارج .

يا للكارثة !

انفجر من الغضب .. كيف تفعل هذا به ؟

لمح حاسوبها المحمول على مكتبها فأمسكه وحطمه على الأرض تحطيما .. أفرغ فيه القليل من شحنة الغضب بداخله .. ربما لو حطم المنزل كله قد يرتاح ويهدأ كثيرا .

شعر أنه أهمل كثيرا فى تربيتها وأعطاها مساحة كبيرة من الحرية ولكن يبدو أنها لا تستحقها .. فهى مستهترة بدرجة كبيرة .

فقط هولم يتوقع ذلك منها !

اتصل عليها مرة أخرى .. وجاءته نفس الرسالة المسجلة السخيفة ..

ذهب إلى غرفة أخيها وسأله :

- أين أختك ؟

تثاءب الطفل وهو يقول :

- فى غرفتها يا بابا .

صاح فيه :

ـ لا .. إنها ليست فى غرفتها .. منذ ليلة أمس .

ثم انطلق جرس الاستدعاء فى هذه اللحظة .. إن مهمة عمل جديدة فى انتظاره !

لن يذهب .. لا يمكن أن يذهب قبل الاطمئنان على ابنته .

قال لنفسه (فليذهب العمل والعميل إلى الجحيم .. ثم .. من هذا العميل الذى يرتكب جريمة فى هذا الوقت من الصباح ؟!)

الجريمة ليست لها موعد مناسب أوموعد غير مناسب .. وهو يعلم هذا جيدا .. لكن حيرته وقلقه على ابنته جعلاه فى منتهى الغضب .. لا يستطيع التفكير فى أى شىء آخر سوى ابنته .

أين هى الآن ؟ أين ؟

●●●●●

ـ س : هل أنت جاهز لهذه المهنة ٢٤ ساعة ؟

ـ ج : نعم .

●●●●●

سمع (شهاب) وابنه نغمة الباب .. كانت أغنية هادئة .. من الأغاني المحببة لـ (سلمى) .. هبطا معا بسرعة ليفتحا الباب ويعرفا من ذلك الزائر .

لا يمكن أن تكون (سلمى) فهى معها مفتاح الباب .. وبصمة يدها كافية لفتحه إن لم يكن جهاز البصمات معطلا .

فتح (شهاب) الباب فوجد أمامه ضابطا شرطة ..

ما الأمر ؟ هل أتيا للقبض عليه ؟ هل أبلغ أحد عن طبيعة عمله ؟ .. ولكنه لا يمكن أن يترك وراءه أى دليل .. هل رآه أحد بالأمس عندما فر هاربا من المصيدة ؟

قال أحدهما له :

ـ هل حضرتك السيد / شهاب على عثمان أسامة جوده ؟

ـ نعم .

قال زميله :

ـ يؤسفنى أن أبلغك خبر سيىء .

شعر بالقلق الشديد وقال بصعوبة :

ـ ما هو؟

صمت الضابط كثيرا قبل أن يقول :

ـ لقد وجدنا ابنتك (سلمى) ميتة هذا الصباح .

هز (شهاب) رأسه بعصبية .. لا يصدق ما يسمعه .. قال بصوت متحشرج:

ـ ماذا تقول ؟

قال الضابط بهدوء :

ـ البقاء لله .

أمسك (شهاب) الضابط من ملابسه بعنف وقال بذعر شديد :

ـ ماذا تقولان ؟ .. ما الذى حدث لابنتي ؟ .. ما الذى حدث لـ (سلمى) ؟ .. أين هى ؟

قال الضابط مقدّرا حالة (شهاب) النفسية :

ـ اهدأ يا رجل .. وتمالك أعصابك .

ترك (شهاب) ملابس الضابط وقال له معتذرا :

ـ آسف .

كان (شهاب) يعلم العقوبة الشديدة التى يمكن أن ينالها جراء هذه الفعلة.. التعدى على موظف أثناء تأدية عمله وهذا الموظف ليس أى موظف عادى .. إنه ضابط .. فضلا عن تهم أخرى مثل إهانة الشرطة .

قال الضابط محاولا تخفيف الأمر عليه :

ـ لا عليك .. نحن نقدّر ظروفك وحالتك النفسية .

قال (شهاب) وهويحاول جاهدا منع دموعه من الانطلاق :

ـ أين ابنتى ؟ أين هى ؟

أجابه الضابط :

ـ لقد وجدنا جثتها فى المنزل رقم ١٠٥ .. شارع عزيز راشد .

●●●●●

الصدمة

- س : ألا ترى أن مهنتك ضد القانون ؟ جريمة .. بل أكبر من جرائم أخرى كثيرة .. فأنت لا ترتكب جريمة واحدة فقط .. أنت تخفى أدلة وتدفن جثثا وتضلل العدالة .. لقد تسببت فى ظلم أناس أبرياء كثيرين قد سُجنوا لأنك أخفيت أدلة براءتهم .. وتسببت فى إطلاق سراح جناة ومجرمين .. لأنك أخفيت أدلة إدانتهم .

- ج : لم أكن أرى الأمور على هذا النحو.. كنت أرى نفسى أقوم بعمل شريف .. ربما عمل خطر يزعج السلطات ولكنه شريف .. مثل الكناس الذى يكنس الشوارع .. مثل الخادمة التى تنظف البيوت .. أنا مثلهم .. ولكنى أنظف الأماكن الآثمة القذرة التى تفوح منها رائحة الموت والغدر و الخيانة .. أحوّلها إلى أماكن أفضل .. بلا دماء .. بلا بصمات .. أماكن نظيفة تماما .

- أنت لا تكنس شارع أوتنظف بيتك .. أنت تعمل فى مسرح جريمة .. هناك فرق شاسع بالتأكيد .

•••••

سأل (شهاب) الضابط بمنتهى الذعر :

- ماذا ؟

أجابه الضابط بهدوء شديد كأنه يخبره بحال الطقس اليوم شاعرا بالملل لتكرار ما قاله :

- لقد قلت أننا قد وجدنا جثتها فى المنزل رقم ١٠٥ .. شارع عزيز راشد .

ما هذا ؟!

فكر (شهاب) دون أن ينطق لسانه بحرف ..

هل هذا معقول ؟ إنه نفس المنزل الذى كان به بالأمس .. جثة الأنثى التى رأى ساقيها كانت لابنته ..

يا للمأساة !

لقد قام بتنظيف جريمة قتل ابنته لينجو القاتل من العقاب .. القاتل الذى رآه بالأمس .. القاتل الذى يعرف أوصافه جيدا .. ويمكن أن يدلى بها للشرطة .. قال بدون تفكير :

ـ أنا أعرف القا ....

ثم انتبه للموقف الشنيع الذى قد وُضع فيه ..

المأزق !

إنه يعرف القاتل جيدا ولكنه لن يستطيع ذكر أوصافه .. كيف يبرر معرفته بالقاتل ؟ كيف يبرر وجوده فى مسرح الجريمة بعد حدوثها بدقائق ؟

إذا اعترف على نفسه وأخبرهم بطبيعة مهنته سيفتح على نفسه أبواب الجحيم .. قد يعترف ليسجن قاتل ابنته، ولكنه سيسجن نفسه أيضا بنفس الاعتراف الخطير .. وقد يموت داخل السجن على أيدى المجرمين الذين تستر على جرائمهم .. خوفا من أن يعترف عليهم أيضا فى جرائمهم الأخرى .. فهو يحفظ جيدا معظم الجرائم التى قام بتنظيفها .. يعرف صاحب الجثة وقاتلها ووسيلة القتل ومكان الدفن .. كل هذه الأسرار الخطيرة لها ثمنها الغالى .. قد يدفع حياته ثمنا لها .. وقد تحاول الشرطة حمايته ليعرفوا منه جميع المعلومات الخاصة بكل الجرائم الغامضة التى حاولوا حلها وفشلوا لأنهم لم يجدوا بصمة واحدة أو طرف خيط .. لكنه قد يُقتل فى أول ليلة له فى السجن .. المجرمون لن يتركوه يدلى بأسرار جرائمهم .. وربما يقتلوه إنتقاما منه لأنه نظف جرائم قتل أصدقائهم وأقاربهم .. حياته ستكون مُهددة باستمرار إذا اعترف على قاتل ابنته ..

وقد ينجو قاتل ابنته فى النهاية لأن شهادته غير صالحة وغير مثبتة بأى أدلة ..

الأدلة !

ثم تذكر ..

الأدلة التى وجدها هو بالأمس وأعطاها للقاتل .. تلك الأشياء التى كان من الممكن أن تساعد الشرطة فى الوصول للجانى .. هاتفها المحمول الذى ألقاه بنفسه فى المحرقة .. كان يمكن أن يساعد الشرطة أيضا .

سأله الضابط عندما لمح شروده وارتباكه :

- ماذا كنت تقول ؟

غمغم قائلا :

- ماذا ؟

قال الضابط بذكاء :

- أنت الآن قلت (أنا أعرف القا ....) هل كنت تريد قول (القاتل) ؟ هل تشك فى أحد ما ؟

هز (شهاب) رأسه نفيا وهو يقول بحنق :

- لا .. لا أشك فى أحد .

سأله الضابط فى شك :

- ماذا كنت تقول إذن ؟ ما بقية جملتك ؟ (القا ..) .. (قا) ماذا ؟

حاول (شهاب) التفكير بسرعة ثم قال :

- كنت أريد قول : أنا أعرف القاا .. القا .. القاطنين بهذا الشارع .. أعرف بعضهم .. فأنا أمُر من هذا الشارع كثيرا .. وأرى بعض سكانه .

شعر الضابط أنه يكذب .. لكنه تجاوز هذه النقطة وقال له :

- حسنا .. هل هذا المنزل يخص أحدا تعرفونه ؟

أجاب (شهاب) بسرعة :

- لا .

- هل لديكم أى أقارب أو أصدقاء فى هذا الشارع ؟

- لا .

- ألم تخبرك ابنتك أنها ذاهبة إلى هذا المنزل ؟

- لا .. ولكن .. ألم تعرفوا من صاحب هذا المنزل ؟

أجابه الضابط الآخر قائلا :

- التحريات تقول أنه منزل مهجور .. مات صاحبه منذ عام، ولم يظهر له أى

ورثة .. يستخدمه بعض الشباب للقاء ..

اندهش (شهاب) وقال :

ـ لقاء !

ـ أعنى اللقاءات العاطفية .. فهو أرخص من الشقق المفروشة .. إنه مجانى تماما ومتاح ٢٤ ساعة .. وبعض الشباب يذهبون هناك لتعاطى المخدرات أو لعب البوكر .. إلخ .. باختصار .. وكر مجانى للشباب الضائع .

صاح (شهاب) بغضب أبوى :

ـ ابنتى لا يمكن أن تفعل أيا من هذا .

لم يكن يصدق أن ابنته (سلمى) يمكن أن تذهب إلى مثل هذه الأماكن المشبوهة ..

وإن ذهبت فبالتأكيد لن تذهب لفعل أشياء قذرة دنيئة مثل هذه ..

لكن الواقع يقول أنهم وجدوها هناك ..

ووجدوها ميتة !

فلماذا ذهبت إلى هذا المكان ؟

ولماذا يقتلها هذا الرجل ؟

ما الذى فعلته لتستحق القتل ؟

قال الضابط الثانى :

ـ الشباب اليوم متهور جدا .. يفعلون أشياء غريبة .. ولو أن ابنتك فعلت شيئا ما فإنها لن تخبرك بالتأكيد .

حاول (شهاب) الدفاع عن ابنته مجددا وقال :

ـ أنا أعرف ابنتي جيدا .

ـ ألم تخبرك مع من كانت أثناء وجودها بالخارج ؟

ـ لا .

ـ على أية حال .. نحن لم نعرف بعد إن كانت قد ذهبت إلى هذا المنزل

بإرادتها الكاملة .. أم تم إجبارها على ذلك .. أم تم نقل جثتها إلى هناك فقط .. للأسف المكان نظيف تماما من أى آثار قد تدلنا على أى شىء .. المجرم قام بتنظيف المكان على أكمل وجه .

صاح (شهاب) وقلبه يتمزق :

- يا إلهى ! ألم تجدوا أى دليل أوأثر ؟

وكانت الإجابة المتوقعة :

- لا .

●●●●●

شارع عزيز راشد .. المنزل رقم ١٠٥

ذهب (شهاب) الى المكان المشئوم .. دخل المكان الذى رأى فيه ابنته لآخر مرة .. بتعبير أدق رأى جزءا من جثتها .. ساقيها التى فارقتهما الحياة .

دخل البقعة التى رأى فيها الجثة .. سأل من حوله بصوت خافت مهزوم :

- أين ابنتي ؟

سأله أحد الواقفين :

- كم عمرها ؟ وماذا ترتدى ؟

كان يعتقد أنه يسأل عن طفلة تائهة .. رد (شهاب) عليه بقلب يتمزق :

- أعنى .. الجثة .

قال أحدهم ببرود :

- آه .. الجثة كانت لابنتك .. إنها فى المشرحة الآن .

قال بحزن :

- أريد أن أراها .

ربت شخص آخر على كتفه وقال :

- ستراها .. بالتأكيد ستراها .. لابد أن تتعرف عليها لنتأكد أنها ابنتك ونكمل بقية الإجراءات .

ثم سأله فجأة :

ـ هل كانت ابنتك تتردد على هذا المكان ؟

نظر (شهاب) حوله بضيق .. كان لا يطيق رؤية هذه الجدران التى شهدت اللحظات الأخيرة من حياة ابنته .. أجاب على السؤال :

ـ لا .

سأله الرجل مجددا :

ـ وأنت ؟ هل جئت هنا من قبل ؟

الإجابة الصحيحة هى (نعم .. جئت هنا من قبل .. فى الليلة الماضية لأنظف جريمة قتل ابنتى) لكن .. من قال أن المجرمين يقولون الحقيقة ؟!

شعر (شهاب) بفداحة الجريمة التى ارتكبها .. ومدى بشاعة المهنة التى يزاولها .. تمنى لو أن الزمن يعود به للوراء ويعتزل هذه المهنة تماما ويبحث عن أى عمل شريف حتى لوكان أجره ضعيفا .. المهم أن يبعد عن حياة الجريمة تماما ويترك المجرمون ينالون عقابهم .. تمنى لو أن الزمن يعود به ليلة واحدة فقط .. ليمنع نفسه من الخروج ومن تنظيف الجريمة ليترك قاتل ابنته ينال جزائه .. أو ليمنع ابنته نفسها من الخروج ليحافظ على حياتها ولوليلة واحدة فقط .. يودّعها فيها الوداع الأخير .

قال كاتما مشاعره :

ـ لا .. لم آت هنا من قبل قط .

ثم سألهم باهتمام :

ـ كيف ماتت ؟

أجابه أحدهم وهو يعدل نظارته فوق أنفه :

ـ رصاصة فى القلب من مسافة بعيدة .. ونوع الرصاصة لا يمكن أن يدل على أى شىء فهى من نوع شائع جدا .

قال (شهاب) محاولا البحث عن أى أمل هنا :

ـ ألم تتوصلوا بعد لمعرفة مواصفات القاتل ؟ ألا يوجد أى خيط ؟ ألا يوجد شهود ؟

حطم الرجل أى أمل عنده قائلا :

- للأسف لا .. لا يوجد شهود .. لا يوجد أى خيط .. لا توجد بصمة واحدة .. فكما ترى تم تنظيف المكان بالكامل حتى بصمات القتيلة نفسها لم نجدها .. وكأن هذا المكان لم يدخله أحد قط من قبل .

(شهاب) يعلم كل هذا فهو الذى تولى التنظيف وهو يعلم جيدا أنه يجيد عمله تماما .

سألهم متعجبا :

- كيف علمتم بالجريمة طالما أنكم لم تجدوا أى بصمات ؟ على الأقل وجدتم بصمات من عثر على الجثة وأبلغ عنها .

- لا .. لم نجد أى بصمات كما أخبرتك .. لقد اتصل فاعل خير من هاتف عمومى .. أبلغ الشرطة باسم القتيلة والمكان .. أعتقد أنه القاتل .. يبدوأنه اتصل ليريح ضميره .. لم يرضى أن يترك الجثة هنا لأيام حتى تتعفن أو يجدها أحدهم ويُتهم فى قتلها .

دخل ضابط آخر إلى المكان وتوجه نحوه قائلا :

- هل يمكنك أن تأتى معنا إلى القسم لنستكمل التحقيق .. قد نستطيع التوصل للقاتل قبل أن يفكر فى الهروب خارج البلاد ؟ .. أية معلومة قد تفيدنا فى التحقيق .. هل أنت جاهز ؟

قال (شهاب) وهو يمسح دموعه الصامتة :

- أريد أن أرى ابنتى أولا .

●●●●●

قال الضابط :

- تفضل من هنا .

تبعه (شهاب) بسيقان مرتخية وأعصاب مدمرة .. ينظر إلى الباب الكئيب بعيون دامعة .. يلمح اللافتة التى كتب عليها بخط كبير (المشرحة) .. ينظر إلى العامل ضئيل الجسم الذى يسبق الضابط إلى الداخل .. يشير إليهما ليتبعوه .. يسيرا وراءه فى أروقة كثيرة .. حتى يصلا إلى غرفة كتب عليها (ح - ١٠) .. لا يفهم معناها ولا يشغل باله بالسؤال عنه .

دخلوا الثلاثة غرفة (ح - ١٠) .. ساروا بين الدواليب والأدراج الكبيرة .. كل درج من هذه الأدراج يحمل جثة .. جثة ربما قام (شهاب) برؤيتها من قبل .. ربما نظف مكان قتلها .. ربما رأى قاتلها ويعرفه جيدا .. لو أن هذه الجثث تتكلم لاعترفت عليه أمام الضابط .. لوأن هذه الجثث تتحرك لخرجت من هذه الأدراج وانقضت عليه لتفتك به .. وتنتقم منه أشد انتقام .. وعندما يموت سيكون معهم فى أحد هذه الأدراج فيكملوا انتقامهم منه على طريقتهم الخاصة .. انتقام موتى من ميت جديد !

وقف العامل أمام أحد الأدراج، وأمسك مقبضه بقوة وجذبه بعنف فخرج الدرج الكبير الذى يحوى جثة فتاة فى ريعان شبابها .

قال الضابط بلهجة عملية جافة :

- هل هذه هى ابنتك ؟

تقدم (شهاب) ودموعه تسبقه .. جسده يرتعد من هول الفكرة .. ابنته الشابة الجميلة الرقيقة ترقد الآن فى درج فى مشرحة .. وعليه أن يتأكد من كونها ابنته .

نظر إلى وجهها الشاحب .. عينيها مغمضتين .. حمد الله على ذلك .. فربما لو كانتا مفتوحتين لرأى فيهما نظرات لوم وعتاب وغضب منه واحتقار له .

قال (شهاب) بحروف متقطعة :

ـ نعععع .... مممم ... هـ ... ييييي .

قال الضابط :

ـ حسنا .. هيا بنا من هنا .

ثم نظر حوله وأردف :

ـ فالمكان هنا غير مريح .

مد العامل يده إلى مقبض الدرج ليعيده إلى مكانه فاستوقفه (شهاب) قائلا :

ـ لا .

نظر له العامل مندهشا وسأله :

ـ ماذا ؟

ابتلع (شهاب) ريقه والتقط نفسا عميقا ثم قال :

ـ دعونى أبقى معها قليلا .

نظر العامل إلى الضابط منتظرا رأيه .

" حسنا .. سننتظرك بالخارج "

قالها الضابط لـ (شهاب) ثم خرج مع العامل .

انحنى (شهاب) ليطبع قبلة دافئة على جبين جثة ابنته البارد .. فانسابت دمعة حارة من عينيه سقطت فوق عينيها مباشرة .. فبدت وكأن عينيها هى التى تبكى .. تحسس بيده اليمنى شعر ابنته الذى لا يزال ناعما وقال بصوت خافت :

ـ آسف يا ابنتى .. أنا الذى أستحق الموت وليس أنت .. أنا الذى تركت قاتلك يهرب بفعلته .. ولكن اطمئنى .. لسوف أجده .. ولسوف أنتقم منه .. وسيكون انتقاما شنيعا .. اطمئنى يا ابنتى .. ولتذهب روحك البريئة الطاهرة إلى الجنة .. ولأذهب أنا ومن مثلى إلى الجحيم .

●●●●●

كان (شهاب) يريد الانتقام من القاتل ..

وقبل ذلك .. الانتقام من نفسه ..

كان يشعر أنه شريك للقاتل فى جريمته .. ولقد قبض الثمن مضاعفا .. أعطاه القاتل أجره مضاعفا عن تنظيف جريمة قتل ابنته .

أمسك (شهاب) بالأموال التى حصل عليها عن تنظيف هذه الجريمة وألقاها فى المحرقة .. المحرقة التى ألقى فيها هاتفها المحمول فى الليلة الماضية.

كان الهاتف الذى وجده بجوار الجثة يشبه هاتف ابنته تماما لكنه لم يتصور أنه هو بالفعل .. حتى لوأخبره أحد بذلك لم يكن ليصدق .. فهو يعلم جيدا أن ابنته كانت بالمنزل تراعى أخيها الصغير .. فكيف خرجت ؟ وكيف وصلت لهذا المكان المشبوه ؟ وكيف قُتلت ؟

وقف يبكى أمام المحرقة ..

نادما على ما اقترفته يداه خلال تلك المهنة القذرة ..

لم يكن يعلم أنه سيأتى اليوم ويذوق من نفس الكأس الذى ذاقه أناس كثيرون قبله .. أناس تعذبوا بسبب جرائم حدثت لأقاربهم أو أصدقائهم ولم يستطيعوا التوصل للجناة بسبب شخص حقير قام بمهمة التنظيف على أكمل وجه .

شعر فى تلك اللحظة أنها عدالة السماء !

نعم .. عدالة السماء !

إنه انتقام عشرات الأرواح البريئة التى قُتلت بغير ذنب ولم ينل الجناة أى عقاب .. بسببه وبسبب من يعملون فى نفس مهنته !

منظف جرائم !

نظر إلى فتحة المحرقة أمامه .. تلك المحرقة التى جاءها مرارا ليلقى فيها أى أدلة أو مستندات أو متعلقات تخص الضحايا أوالجناة .. وأحيانا يلقى فيها جثثا .

الناس يأتون هنا كثيرا ليلقوا مخلفاتهم أما هو فيلقى مخلفات جرائمهم .. وأحيانا يلقيهم هم أنفسهم وقد فارقوا الحياة .

تلك المحارق التى أنشأتها الدولة كمشروع مفيد لاستغلال النفايات استغلال

جيد فى إنتاج الطاقة عن طريق حرقها .. والدخان الناتج عنها تستفيد به أيضا بطرق أخرى .

هذا المكان الذى أحرق فيه كل ما تحتاجه الشرطة للتوصل إلى المجرمين .. هو أفضل مكان له .. ليتخلص فيه من عذاب الضمير .. هكذا فكر وقرر ..

قرر أن يلقى نفسه فيه ..

لم يعد لديه رغبة فى الحياة ..

وعذاب الضمير يقتله فى كل دقيقة .. بل فى كل لحظة ..

لابد أن ينهى هذا كله .. المحرقة أمامه .. يخطو نحوها بدون تردد ..

ثم ..

تذكر ابنه (سمير) ..

من سيرعاه من بعده ؟ من سيهتم به ؟ من سيحميه فى هذا العالم القذر ؟ من سيربيه ؟ من سيبعده عن المجرمين حتى لا يصبح مثلهم ؟ من ؟ ومن ؟

تراجع عن قراره من أجل ابنه ..

ثم ..

ظهر رجلا أمامه فجأة ..

كان يحمل صندوق مهملات كبير .. رآه (شهاب) يعانى كثيرا فى حمله .. فتحرك من مكانه وساعده فى تفريغه ثم رحل فى هدوء .

والرجل من خلفه يقول :

ـ شكرا يا بنى .. ليت كل الناس مثلك .

ابتسم (شهاب) فى سخرية مريرة !

●●●●●

دخل (شهاب) منزله .. رأى ابنه (سمير) يندفع نحوه بقوة ويحتضنه .. وراح يسأله وهويبكى :

ـ أين (سمسومة) ؟

(سمسومة) اسم التدليل لـ (سلمى) والذى اخترعه أخيها وكان يناديها به دائما .

لم يتلق ردا فسأل أبيه مرة أخرى :

- أين (سمسومة) يا بابا ؟ لقد دخلت غرفتها ولم أجدها .. أين ذهبت ؟ أريد أن ألعب معها .

منع (شهاب) نفسه من البكاء أمام الطفل وقال له محاولا الابتسام :

- هى فى رحلة .. وسوف تعود منها قريبا .

ظهر الضيق على وجه الطفل وسأله :

- لماذا لم تأخذنى معها ؟

احتضن ابنه بقوة قائلا :

- بعد الشر عليك يا ولدى .

تعجب الطفل وقال :

- لماذا تقول هذا ؟

نظر (شهاب) إلى عينى ابنه البريئتين وقال :

- اسمعنى جيدا .. (سلمى) ذهبت فى رحلة .. وأنت ستمكث معى هنا .. أم أنك تريد أن تتركنى وحدى ؟

احتضن الطفل أبيه مرة أخرى ثم قال :

- لا طبعا .. سأظل معك .. حتى لا تكون لوحدك .. ولكن عندما تخرج يا بابا سأكون لوحدى .. ماذا أفعل وقتها ؟

لم يستطع (شهاب) الرد فسأله ابنه :

- هل يمكن أن أتصل بها ؟ لقد وحشتنى جدا .

- لا .. لن تستطيع الاتصال بها .

ثم تركه ليذهب إلى غرفتها .. وهناك ترك عيونه تفرغ حمولتها المحبوسة..

سالت الدموع بغزارة .

•••••

كان (شهاب) يريد الانتقام من القاتل ..

إنه يتذكره جيدا .. ولكن ماذا يفعل بأوصافه التى يحتفظ بها فى ذاكرته؟

هل يبلغ الشرطة ؟ هل يدّعى أنه فاعل خير ويبلغهم بأوصاف القاتل ؟ لكنهم لن يصدقوه ولن يأخذوا كلامه على محمل الجد .. إنه فى النهاية فاعل خير فى نظرهم .. بدون أدلة أوبراهين .

هل يستعين برسامًا لرسم الوجه أم يستخدم برنامج ليستطيع تصميم أقرب وجه لوجه القاتل .. ثم يبحث بعد ذلك على شبكة الإنترنت عن صورة هذا الوجه .. ومن هنا يستطيع معرفة الشخص .. ولكن .. يوجد آلاف الوجوه المشابهة .. وشبكة الإنترنت ستعرض له وجوه شبيهة من جميع أنحاء العالم .. وهو لا يريد سوى الموجودين فى بلده فقط .

بحث فى غرفة ابنته ..

فتش فى حاجاتها عن أى صورة فوتوغرافية أو اسم فى مذكراتها قد يشير إلى وجود رجل فى حياتها .. أو يشير إلى اسم القاتل .

بحث على حاسوب ابنته المحمول .. ربما يجد صورة للقاتل .. كانت ذاكرة الجهاز لا تزال سليمة رغم تحطم الجهاز .. لكنه لم يجد أى صورة تخص القاتل .

كان يتمنى أن يجد أى صورة له حتى يستطيع التعرف من خلالها على اسمه .. بالبحث على الإنترنت عن اسم صاحب الصورة .

وربما لا يوجد صورة للقاتل على الإنترنت .. ربما ليس مشهورا .. هو يبدو كرجل أعمال ولكن من قال أن كل رجال الأعمال مشهورين ؟ ربما لا يظهر فى لقاءات أوحفلات .. ربما لا يكون رجل أعمال أصلا .

فكر أن يسأل صديقات ابنته ..

ربما يصل إلى معرفة اسم القاتل .

•••••

- هل كانت (سلمى) تشكو فى الفترة الخيرة من أى شيء ؟ تهديد بالقتل مثلا ؟

- لا يا عمو.. ابنتك كانت ملاك .. لا يمكن أن يكرهها أحد .

- هل تعرفت على أحد ما فى آخر أيامها ؟ نشأت بينهم علاقة حب مثلا .

- شاب ما ؟

- شاب أو عجوز .. هل كان هناك أحدا فى حياتها ؟

- لا .

- هل كانت تخبركن أنها تذهب إلى هذا المنزل الذى وجدوا جثتها فيه ؟

- لا .

من خلال حديثه مع صديقات ابنته لم يعرف (شهاب) أى معلومة جديدة يمكن أن تفيده فى التوصل لهوية القاتل .. سألته إحداهن وتدعى (صافيناز):

- أين هاتفها المحمول ؟

ابتلع المرارة التى يشعر بها فى حلقه وكذب قائلا :

- لم أجده .

- خسارة يا عمو! كان يمكن أن يفيدك كثيرا .. ستعرف من اتصل بها آخر مرة .

وكان يمكن أن يعرف من خلاله اسم القاتل .. فلابد أن رقمه مسجل عليه باسمه .. وسوف يعرف الاسم من خلال البحث عن الرقم فى قائمة أسماء هاتف ابنته .. فهو لا يعرف عن القاتل سوى أوصافه ورقم هاتفه .

رقم هاتفه المسجل عنده على هاتف العمل !

هذا طرف خيط مهم جدا .. لكن كيف يصل إليه عن طريق رقم ؟

هل يتصل به مثلا ويسأله (ما هو اسمك ومهنتك وعنوانك ؟) طبعا لا .. لكنه سيتصل به على أية حال .. هذا الرقم هو خيطه الوحيد للوصول له .

فكر فى الاتصال به وإخباره أن لديه دليل قوى على ارتكابه جريمة قتل .. سيحاول ابتزازه .. سيطلب مبلغا كبيرا .. ويحدد الزمان والمكان ..

وهناك سوف ينتظره .. سيراه .. سيراقبه .. سيتابعه حتى يعرف من هو.

فكرة جيدة !

حاول الاتصال بالرقم من كابينة هاتف عمومى ..

لم يرد .

حاول من خلال هاتف محمول برقم آخر جديد ..

لم يرد .

ثم فكر فى الاتصال من هاتفه الخاص بالعمل ..

هنا فقط رد .

ـ آلو..

ارتبك (شهاب) .. لم يتوقع أن يرد .. قال بسرعة :

ـ آلو.. كيف حالك يا باشا ؟

ـ الحمد لله .. خيرا يا (م . ج) ؟

(م . ج) .. منظف جرائم ..

القاتل لا يعلم عنه شيئا سوى أنه منظف جرائم .

ـ خيرا بالتأكيد .. كنت أتصل بك لأشكرك .. وأخبرك أننى مستعد دائما لأى مهمة .. أنا فى الخدمة دائما ..

شعر (شهاب) بأن الرجل قد يشك فيه بسبب هذا الاتصال المريب .. فكر بسرعة ثم قال :

ـ وأريد أن أبلغك برقمى الجديد .. هذا الرقم للناس المهمة جدا VIP .. أما الرقم الذى أتصل منه الآن فأنا أغلقه فى أحيان كثيرة أثناء نومى ..

ـ حسنا .. أخبرنى برقمك الجديد .

أعطاه (شهاب) الرقم الجديد فقال الرجل :

ـ هل اتصلت بى منذ يومان من هذا الرقم ؟

أدرك (شهاب) أن هذا الرجل قوى الملاحظة أو أنه يمتلك ذاكرة رقمية

رهيبة .. رد بسرعة حتى لا يثير شكوكه .

ـ نعم .. كنت أتصل بك منه لأعطيه لك .

ـ حسنا .. آسف لأننى لم أرد وقتها فأنا لا أرد عادةً على الأرقام الغريبة .

ـ لا عليك .

ـ شكرا على الرقم .. مع أننى لا أعتقد أننى سوف أحتاجه .. فأنا بعد أسبوع بالضبط سأكون خارج البلاد .

فكر (شهاب) أنه لم يبق أمامه سوى أسبوع واحد فقط حتى يعرف قاتل ابنته وينتقم منه أشد انتقام ..

أسبوع واحد فقط !

•••••

اعتزال

أكمل الرجل قائلا :

ـ لكنى .. سوف أعطيه لأصدقائي .. لا تقلق .. سوف أعطيه لأصدقائي المقربين فقط .. الذين أثق فيهم تماما .. الذين قد يحتاجون لك .

وأنهى الاتصال .

دون أن يعرف (شهاب) اسمه أو أى معلومة عنه .. عمله .. مسكنه .. اسم واحد من أصدقائه .. رقم رحلته .. يوم سفره .. البلد التى سيسافر إليها .. شركة الطيران التى حجز فيها .. أى طرف خيط قد يقود إليه ! للأسف لم يعلم (شهاب) سوى شىء واحد فقط ..

قال لنفسه محاولا التشبث بأى أمل :

ـ على الأقل عرفت أنه لا يزال هنا .. وأمامى سبعة أيام كاملة لأتوصل له .. سبع أيام !

فهل سيستطيع (شهاب) الوصول له فى هذه المدة القصيرة ؟

●●●●●

اليوم الأول ..

مر سريعا و(شهاب) يحاول التفكير فى التوصل لمكان القاتل .. لو أن لديه جهاز تعقب اتصالات .. ثم يجرى اتصالا طويلا معه .. بعدها يستطيع تحديد مكانه .. يذهب إليه ويقتله وينتهى الأمر .

قام برشوة أحد العاملين بشركة المحمول (آمون فون) لمعرفة اسم صاحب الرقم .. لكن المحاولة فشلت رغم الرشوة العالية التى دفعها .. فالرقم ليس مسجلا باسم معين فى الشركة ..

وربما أخبره العامل المرتشى بذلك وهو لم يحاول البحث من الأساس ..

أوأنه لم يبلغه بالاسم حتى لا يكون قد خالف قوانين العمل بشركته .. ويتعرض للطرد إذا عُرف الأمر .

فى هذا اليوم .. جاءته اتصالات كثيرة على هاتف العمل .. كالعادة .

لكنه لم يعد يرد على إياها منذ وفاة ابنته .. لقد قرر ألا يقوم بهذه المهمة القذرة مرة أخرى .. نعم إنها مهمة تنظيف .. لكنها قذرة فى نفس الوقت .

لن يرتكب جريمة إخفاء أدلة بعد اليوم ..

لن ينظف وراء مجرم بعد اليوم ..

إنه يريد نسيان الماضى تماما ولا يريد العودة له أبدا .

●●●●●

ـ س : هل دائما الجرائم التى تقوم بتنظيفها جرائم قتل ؟

ـ ج : لا .. هناك جرائم أخرى .

ـ س : مثل .. ؟

ـ ج : السرقة .. الخطف .. الاغتصاب ..

●●●●●

كان (شهاب) يخرج كل يوم بسيارته يدور فى الشوارع .. لعله يلمح وجه القاتل فى شارع (عزيز راشد) أوالشوارع القريبة منه أوالمتقاطعة معه .. لكن محاولاته كانت بلا فائدة .

وبينما كان يقود سيارته جاءه اتصال جديد من أجل مهمة جديدة .

إن معدل الاتصالات يزيد منذ قرر الاعتزال .. يبدو وكأنه موسم جرائم .

لو أنه رد على كل اتصال جاءه وقَبِل المهمة .. لكوّن مبلغا محترما .. وكل مهمة ولها ثمنها المختلف عن الأخرى .

الإغراء يزداد !

لكن لا ..

لن يعود !

لقد أقسم على ألا يعود إلى هذه المهنة مرة أخرى .. مهما ازدادت الضغوط .. والإغراءات ..

واحد فقط هو الذى يمكن أن يرد على اتصاله .. واحد فقط .. هو قاتل ابنته .. لسوف يرد عليه .. ويوافق على المهمة الجديدة .. من أجل الذهاب إليه فى مسرح الجريمة .. وقتله هناك .

لكن .. متى يتصل به ؟

متى يرتكب جريمة أخرى ويحتاج له ؟

وهل يمكن أن يرتكب جريمة فى خلال هذه الأيام القليلة ؟

هل .... ؟

●●●●●

.س : لماذا يحتاج المجرم إلى مُنظف ؟ لماذا لا يقوم هو بالتنظيف بنفسه ؟

. ج : عملنا يعتمد بشكل أساسى على الجريمة العفوية .. الجريمة التى تحدث دون تخطيط مسبق .. الجريمة التى يكون فيها القاتل مهملا .. يترك بصماته فى كل مكان .. ينسى أشياءه فى مسرح الجريمة .. لأنه لم يفكر فى ارتكاب الجريمة قبل ارتكابها .

.ولكن هذا النوع من القتلة لا يحتفظ برقم منظف جرائم .. لأن احتفاظه برقمك يعنى أنه يخطط لارتكاب جريمة قتل .. وطالما أنه يخطط لها فسوف يدرس كل خطوة يقوم بها .. وسيكون حريصا فى مسألة البصمات والأدلة .. وبالتالى لن يحتاج لك وقتها .. باختصار .. هناك نوعين من القتلة .. واحد يخطط لجريمته ويحتفظ برقمك ولكنه لا يحتاج لك فقد خطط لكل شىء .. ونوع آخر لا يخطط لجريمته وهذا هو الذى يحتاجك ولكنه لا يحتفظ برقمك.

. المسألة لا يمكن حسابها بهذه الطريقة .. إن الكل يحتاجنا .. سواء الذى خطط لجريمته أولم يخطط .. المسألة أن القاتل يكون فى حالة لا تسمح له بالتنظيف .. إنهيار عصبى .. ارتخاء فى العضلات .. رعشة .. إرتجافة .. تشتت فى التفكير .. كل هذه الأشياء وأكثر تجعله غير مؤهلا للتنظيف .. قد لا يستطيع تحريك قلم فما بالك بجثة ؟ .. قد يفقد هدوءه وتركيزه ولهذا قد ينسى أشياء مهمة تدل على هويته أويترك بصماته فى مسرح الجريمة .. وربما تكون الجثة لشخص عزيز عليه .. صديقه مثلا .. والشيطان حرضه على قتله لكنه يظل صديقه فى النهاية .. ولهذا لا يستطيع الاقتراب من الجثة أو النظر

لها .. وهنا يأتى دورنا .. كمنظفى جرائم .. الجثة لا تمثل أى شىء بالنسبة لنا .. لقد تعوّدنا على هذا العمل .. أما بالنسبة لمسألة رقم المنظف .. قد يكون مع أى أحد ويحتفظ به تحسبا للظروف .. سواء كان معتاد الإجرام أو مجرم مبتدئ .. وقد يكون مع صديق أوصديقة القاتل أوأحد أقاربه وأعطاه له عندما علم بأمر الجريمة التى ارتكبها .. ينصحه بالاتصال بى ليتخلص من هذه الورطة تماما .

•••••

فى اليوم الأول .. لم يرد (شهاب) على أى اتصال جاءه على هاتف العمل .

ذلك العمل الذى ساعد قاتل ابنته على الإفلات بجريمته .. لقد قرر اعتزال هذه المهنة نهائيا ليترك القتلة والمجرمين ينالوا جزائهم عن جرائمهم التى ارتكبوها .. كخطوة أولى فى طريق التكفير عن خطاياه السابقة .

وربما يُستجاب لدعائه ويستطيع الوصول لقاتل ابنته .

أما فى اليوم الثانى .. فكر فى الرد ..

قال محدثا نفسه :

ـ لقد اعتزلت ولن أفكر فى العودة للتنظيف مرة أخرى .. ولكن إذا لم أرد على العميل قد يتصل بمنظف آخر .. وهكذا أكون قد ساعدته فى تنظيف جريمته بالاعتماد على غيرى .. لذا سوف أردّ وأخبره أنى قادم ولكنى لن أذهب أبدا .. ويظل هو ينتظرنى حتى تأتى الشرطة وتقبض عليه .

ـ آلو.

ـ آلو.. أين ؟

وعندما أخبره العميل الجديد بالعنوان .. قال له :

ـ أنا قادم .. انتظرنى .

لقد قرر (شهاب) أن يرد على جميع المكالمات .. فربما يأتيه صوت قاتل ابنته وهو يتصل به من رقم آخر .

سيرد على جميع المكالمات .. لكن لن يذهب !

•••••

وفى اليوم الثالث ..

فكر (شهاب) فى الرد والذهاب ..

قال محدثا نفسه :

ـ لقد اعتزلت ولن أفكر فى العودة للتنظيف مرة أخرى .. ولكن إذا لم أذهب .. قد يتصل العميل بمنظف آخر عندما يقلق من تأخرى .. وقد يبلغ أصدقائه وأقرانه أننى وعدته بالحضور وخذلته .. ولن يتصل أحدا بى بعدها .. الحل هو أن أذهب إلى هناك .. وأحصل على أجرى منه .. وأتظاهر بأننى أقوم بالتنظيف أمامه لكنى سأترك كل شىء كما هو حتى تأتى الشرطة وتتوصل له عن طريق البصمات التى تركتها كما هى .. أوأى أدلة أخرى فى المكان .

فى هذه الحالة .. سيراه العميل يقوم بالتنظيف أمامه لذا لن يتصل بأى منظف آخر .. وستأتى الشرطة بعد ذلك وتتوصل له .

قرر (شهاب) أن يذهب إلى مسرح الجريمة .. فربما يجد العميل هو نفسه قاتل ابنته وقد غيّر رقم هاتفه وغيّر صوته .

●●●●●

وفى اليوم الرابع ..

فكر (شهاب) فى الرد والذهاب وإبلاغ الشرطة ..

ـ سوف أردّ وأذهب إلى هناك وأبلغ الشرطة .. فقد يهرب العميل دون توصل الشرطة له .. وقد ينظف المكان بنفسه بعد رحيلى أو يستدعى منظف آخر لزيادة الاطمئنان .. لذا لابد أن أبلغ الشرطة بنفسى وأعطله عن الهرب ليتم القبض عليه .

وربما يكون العميل هو قاتل ابنته .. إلخ .

و..

ـ آلو.

ـ آلو.. أين ؟

●●●●●

القاتلة

كان المتصل هذه المرة أنثى .. أخبرت (شهاب) بالعنوان وقالت له :

ـ احضر بسرعة .. أرجوك .

تعامل (شهاب) من قبل مع مجرمات كثيرات .. هذه ليست المرة الأولى .. الجريمة لا تفرق بين ذكر وأنثى .. الكل يرتكبها .. لكن جرائم النساء تختلف بالتأكيد عن جرائم الرجال .. على الأقل فى مسألة الدوافع ووسائل القتل .

ذهب (شهاب) إلى مسرح الجريمة .. وبمجرد وصوله اتصل على الشرطة .. ثم اتصل بالمجرمة ليخبرها بوصوله .

فتحت له الباب قائلة :

ـ لقد تأخرت كثيرا !

لم يقل شيئا سوى :

ـ أين ؟

قالت مرتبكة :

ـ نظف المكان كله .. أنا لا أتذكر أين تركت بصماتى .. اعتقد أننى تحركت فى جميع الأماكن .. أرجوك نظف بسرعة .

جال (شهاب) ببصره فى المكان وقال :

ـ المكان كله ! .. هاه .. هذا يحتاج لوقت ومجهود ومال كثير .

قالت بدون أدنى تردد أوتفكير :

ـ سأدفع لك ما تريد .

شعر بالسعادة .. هو الآن يربح مال بدون عمل .. لا يخالف ضميره فى أى شىء .. لا يتستر على أى جريمة ولا يحمى أى مجرم .. لن ينظف شيئا ولن يساعد المجرم فى الهرب .. اتصل بالشرطة والمجرم سينال جزائه ولن يطالبه برد المبلغ .. ثم يتبرع هو بالمال لأى مشروع خيرى .. لا يحتاج هذا المال الملوث فى شىء .

ـ حسنا .. ما هى الجريمة هنا ؟ سرقة ؟

أجابته :

ـ قتل .

اندهش (شهاب) من الإجابة .. لم يكن سبب اندهاشه أن تقوم أنثى بالقتل .. كان السبب أن تقوم فتاة شابة مثلها بهذه الجريمة .

لقد تعامل من قبل مع قاتلات كثيرات فى حياته العملية .. أشكال مختلفة وأعمار مختلفة ودوافع مختلفة .. لكنه لم يلتق من قبل بفتاة قاتلة فى هذا السن الصغير .

كانت الفتاة فى عمر (سلمى) ابنته تقريبا .. حتى إنها تشبهها إلى حد كبير .. لكن هذا لم يجعله يتراجع عن موقفه .. لقد اعتزل المهنة ولن يتراجع أبدا عن هذا القرار .

سألها باهتمام :

ـ والجثة .. هل تريدين التخلص منها ؟

ـ لا .

حمد الله لأنه لا يريد أن يتظاهر بأنه يحمل الجثة لإخراجها .. يكفيه أن يتظاهر بالتنظيف ! قالت له :

ـ المكان ليس ملكى !

بعد حصوله على الأجر الذى طلبه منها .. راح يتظاهر بالتنظيف أمامها ويختلس النظر إلى ساعته .. منتظرا وصول الشرطة .. ثم سألها :

ـ أين الجثة ؟

ـ هنا .

أشارت الفتاة إلى احدى الغرف .. دخلها المنظف على الفور بينما ظلت هى بالخارج .

رأى أمامه جثة رجل فى الأربعين من عمره غارقة فى دمائها على الأرض .. سألها وهو يكمل تمثيلية التنظيف :

ـ هل هو زوجك ؟

توقع ردا من نوعية (وأنت مالك ؟) أو(ركز فى عملك فقط ولا تسأل) أو(نظّف وأنت صامت) .. لكنها قالت :

ـ لا .. ولا أعرفه .

شعر أن صوتها يزداد علوا ووضوحا وهذا يعنى أنها تقترب من الغرفة .. التفت لها .. رآها تتجه نحوباب الغرفة ويدها تقترب من المقبض .. قال لها محذرا :

ـ لا تلمسى المقبض .. بصماتك ! أنا هنا لأمسحها وأنت تضعينها مجددا !

قالت بخجل :

ـ آسفة .

نصحها قائلا :

ـ من الأفضل أن تقفى فى مكان واحد ولا تتحركى منه .

أجابت بهدوء شديد كفتاة تطيع أمر والدها :

ـ حاضر .

ثم تذكر (شهاب) أنه يتظاهر بمسح بصماتها أى أنه لا يمسحها فعلا .. فلماذا يحذرها إذن ؟ أليس المفروض أن يدعها تترك بصماتها ؟

يبدو أن سنوات عمله الطويلة أثرت عليه بشكل كبير .

فكر لبرهة .. رأى أن تحذيره لها لصالحه .. فهى الآن لن تشك أبدًا أنه يتظاهر بالتنظيف .. ولن تخبر أحدا أنه أهمل فى أداء مهمته ولن تشك أبدا أنه هو الذى أبلغ الشرطة .

لقد طلب منها أن تظل فى مكانها خارج الغرفة حتى لا تترك بصمات جديدة .. واتجه هو إلى أحد الأركان فى مكان لا يمكن للفتاة أن تراه فيه .. ليجلس مسترخيا تماما .. بينما هى تقف بالخارج معتقدة أنه منهمك فى التنظيف .

سألها من باب قتل الملل الذى يشعر به :

ـ لماذا قتلته إذن طالما انك لا تعرفينه ؟

جاءه صوتها الأنثوى الرقيق من خارج الغرفة :

ـ هذا موضوع طويل .. ركز فى عملك .. نظف وأنت صامت .. أريدك أن تنتهى بسرعة .

انطلق صوت نغمة هاتف محمول فى المكان .. أغنية رومانسية لمطربة مشهورة .. وضعت الفتاة يدها فى جيب بنطلونها الضيق وأخرجت هاتفها ووضعت سماعة صغيرة فى أذنها ثم قبلت المكالمة وقالت :

ـ أنت نذل وجبان وحقير .

أنصت (شهاب) لما تقوله وهو جالس مستريحا فى الغرفة .. لا يقوم بعمل أى شىء .

ـ .... ستندم على ما فعلته أشد الندم .

نظر (شهاب) فى ساعته .. لماذا تأخرت الشرطة ؟ هل يتصل بهم ليخبرهم بمكان المنزل مرة أخرى ؟

ـ .... لو رأيتك سأقتلك .

تهدد الفتاة واحدا آخرا بالقتل !! يبدوأنها قاتلة محترفة إذن ! .. هذا ما فكر فيه (شهاب) فى تلك اللحظة .. ثم بدأ يفكر أن شكل الفتاة لا يوحى أبدا بكل هذه الميول الإجرامية .. قال لنفسه :

ـ لو أنها قاتلة محترفة سيكون من الصعب تعطيلها حتى وصول الشرطة .. لكنى سأسلمها مهما حدث .. لن أترك قاتلا يفلت من العقاب بعد اليوم .. لابد أن ينال المجرمين جزاءهم .. وأولهم قاتل ابنتى .

ـ .. تسرق وتقتل وتهرب وتريد توريطي فى جريمتك ! .. يا لك من وغد حقير !

اقترب (شهاب) من الباب ليسمع أفضل ..

ـ .... لماذا قتلت الرجل ؟ ألم يكفيك سرقته ؟

فكر (شهاب) فيما سمعه وشعر بالحيرة وانتظر حتى أنهت الفتاة المكالمة ثم سألها :

ـ مع من كنت تتحدثين ؟

زفرت قائلة بغضب :

ـ وأنت مالك ؟

قال محاولا إقناعها بالتحدث :

ـ كنت أريد أن ..

قاطعته قائلة بحزم :

ـ هل أنهيت عملك ؟

تظاهر بأنه يراجع ما قام به ثم أجاب :

ـ لا .. ليس بعد .

سألته بضيق :

ـ ومتى ستنتهى ؟

لم يهتم بإجابة سؤالها وقال :

ـ اسمعينى جيدا .

عقدت ساعديها أمام صدرها وقالت :

ـ تفضل .

سألها باهتمام شديد :

ـ هل أنتِ التى قتلتِ هذا الرجل ؟

قالت بصدق :

ـ لا .

كان يتوقع هذه الإجابة .. هذه الفتاة ليست مجرمة .. سألها :

ـ من إذن ؟ من الذى قتله ؟ هل هو الذى كان يحادثك الآن ؟ من هو؟

لوحت بيدها بعصبية قائلة :

ـ هذا ليس من شأنك .. أنت هنا لتنظف وفقط .. لست محقق نيابة لتسألنى.

قال (شهاب) بلهجة أبوية صادقة :

ـ أخبرينى ما الذى حدث وسوف أساعدك .. صدقينى .

واستجابت الفتاة هذه المرة وحكت له ما حدث ..

•••••

- س : من أول من امتهن هذه المهنة ؟ .. أنا لم أكن أسمع عنها قبل اليوم .

- ج : إن مهنة منظف الجرائم ليست وليدة اليوم .. إنها موجودة منذ زمن .. وكل جهاز أمنى وكل جهاز مخابرات فى العالم لديه فريق تنظيف .. حتى يزيلوا أى آثار تركها زملائهم أثناء العمل .. أما مهنة منظف الجرائم التى أمتهنها بدأت مع ازدياد معدل الجريمة فى البلاد .. أى بعد عام ٢٠٣٥ تقريبا .. وكلما زاد الطلب عليها زاد العاملون بها .. كأى مهنة .. أما بالنسبة لأول من بدأ هذه المهنة .. أعتقد أنه الغراب .

- الغراب ! هل هذا اسم أو لقب أول رجل عمل كمنظف جرائم ؟

- ليس رجلا .. أنا أقصد الطائر .

- طائر !

- لا تتعجب .. ألم يُعلّم الغراب (قابيل) كيف يمحى آثار جريمة قتل أخيه (هابيل) ؟

•••••

قالت الفتاة وهى تبكى :

- (شادى) هو سبب كل هذا .. هو الذى طلب منى أن آتى هنا .. لكنى لم أتوقع أن يقوم بسرقة الرجل وقتله .. ولم أتوقع أنه ينوى توريطى فى جريمته.

سأل (شهاب) الفتاة مستفسرا :

- (شادى) من ؟ وما علاقتك به ؟

أجابته ببساطة :

- (بوى فريند) boy friend

- ولماذا وافقت على طلبه وأتيت ؟

تنهدت ثم قالت :

ـ الحب ! .. الحب هوالذى جعلنى أوافق .. لقد وثقت فيه .. لم أكن أتخيل أن يكون بهذه الخسة والنذالة .. لقد جئت ودخلت جميع الغرف متوقعة أن أراه فى أى لحظة .. فوجئت بالجثة والخزينة المفتوحة .. اتصلت به .. رد بكل هدوء بأنه ينتقم منى لأنى هجرته وذهبت لـ (هادى) .

سألها مستفسرا :

ـ (هادى) من ؟

أجابت بنفس البساطة :

ـ (بوى فريند) .

سألها بسخرية لاذعة :

ـ كم (بوى فريند) لديك بالضبط ؟

لم ترد وكأنها لم تسمع سؤاله .. وأكملت :

ـ لقد أخبرنى أنه سرق الرجل أثناء نومه .. لكنه استيقظ وفاجأه .. فتعارك معه وقتله .. ثم هرب .. ثم اتصل بى وجئت كالغبية هنا لأقع فى هذا الفخ .. لم أكن أعلم شيئا لذ تركت بصماتى فى كل مكان .. أما هو فكان يرتدى قفازات .. ولم يترك أى دليل ضده .

شعر (شهاب) بالصدق فى كلامها فسألها ليتأكد أكثر :

ـ ومن أعطاك رقمى ؟

ـ (شادى) .. النذل الحقير .. لقد أعطانى رقمك يوما ما وقال عنك أنك منظف جرائم .. وشرح لى طبيعة عملك .. احتفظت بالرقم من أجله هو .. ربما يحتاجه يوما .. لكنى لم أتوقع أن أستخدمه أنا .

ثم انفجرت فى البكاء فقال لها :

ـ اخرجى الآن .. وإياك أن تلمسى شيئا أثناء خروجك .

مسحت الفتاة دموعها وقالت :

ـ ألن أنتظر معك حتى تنهى عملك ؟

لم يرد عليها .. أخرج من حقيبته قفازا بلاستيكيا وقال لها :

ـ من الأفضل أن ترتدى هذا .. واخرجى فورا .
أمسكت القفازات وراحت ترتديها وهى تقول :
ـ ألن أنتظر حتى ..
قاطعها قائلا :
ـ أخرجى حالا .. الشرطة فى الطريق .
عندما سمعت الفتاة كلمة (الشرطة) شعرت بالفزع الشديد ونهضت بسرعة لتفر هاربة وهى تردد كلمة واحدة :
ـ شكرا .. شكرا .. شكرا .
اختفت الفتاة من أمامه وراح (شهاب) يعمل بسرعة ودقة فى تنظيف المكان .. هذه هى أول جريمة يقوم بتنظيفها بعد وفاة ابنته (سلمى) .. لم يكن يتخيل أنه سيعود للتنظيف مرة أخرى .
لقد حدث الاستثناء الوحيد وهو:
المجرم ليس مجرما .. هذه المرة فقط .
فى كل مرة كان يتظاهر بالتنظيف ويبلغ الشرطة بمكان الجريمة ليتم القبض على الجانى ويتم تسليمة للعدالة .. أما فى هذه المرة تراجع عن قرار الاعتزال مؤقتًا من أجل إنقاذ بريئة من الفخ المنصوب لها ..
وهذا يذكره بما حدث معه فى الماضى .

●●●●●

ـ س : كيف بدأت هذه المهنة ؟
ـ ج : فى يوم من الأيام وجدت جثة فى مكان اعتدت الذهاب إليه .. لذا كانت بصماتى فى كل شبر فيه .. لم أستطع التفكير فاتصلت بصديق لى أسأله النصيحة .. فأعطانى رقم منظف جرائم .. اتصلت به وأتى بسرعة وأنقذنى من هذه الورطة .. لولاه لكنت فى السجن منذ ذلك الحين .. أو كنت ميتا إذا كان الحكم بالإعدام .. بعد ذلك تعرفت على المنظف أكثر .. نشأت بيننا صداقة وطيدة .. تحدث عن مهنته كثيرا أمامى .. تعملت الكثير عنها .. ثم ذهبت معه أكثر من مرة لمساعدته فى العمل .. بعد ذلك أصبحت أذهب بدلا منه عندما

يكون مريضا أولا يكون جاهزا أو يكون مشغولا فى مهمة تنظيف أخرى .. ثم مات .. وصار رقمه الخاص ملكى .. وحدى .. وبعد فترة غيرت الرقم وأعطيته لكل العملاء على أنه رقمى الجديد والوحيد .. وتخلصت من الرقم الأول نهائيا .. وأصبحت (منظف جرائم) محترفا .

●●●●●

سمع (شهاب) صوت سرينة سيارات الشرطة ..

لقد كان ينتظرهم وهو يفكر فى تعطيل الفتاة لكى يتم القبض عليها .. الآن هوالذى قام بتهريبها ويفكر فى تعطيل الشرطة حتى ينتهى من التنظيف .

السيارات توقفت أمام المنزل .. عملية التنظيف لم تنته بعد .. بصمات الفتاة فى أماكن كثيرة .. سيعتقدوا أنها الجانى بسبب البصمات .. سيتوصلوا لها بسهولة لأن بصمات جميع المواطنين مخزنة فى قاعدة بيانات الشرطة على شبكة الإنترنت .. الجثة لا تزال موجودة .. الخزينة مفتوحة .. سيتم القبض عليها بتهمة السرقة والقتل .. سيتم إعدامها بحبل المشنقة أو المقصلة أو الرجم أو الكرسى الكهربائي أو غرفة الغاز أو الحقنة المميتة أو فريسة للحيوانات أوبئر الأفاعى أوالغرق أوالدفن حيًا أو.. أو.. أو.. إن وسائل الإعدام كلها متاحة فى هذا الزمن الصعب !

والعقوبة تختلف حسب مهارة المحامى ورأى هيئة المحلفين .

مازال أمامه الكثير من العمل .. والشرطة تطرق الباب بقوة .. وهو لا يزال جالسا بجوار الجثة .. منهمكا فى التنظيف .

. افتح الباب .. بوليس .

إذا فتح لهم سيتم القبض عليه وسوف يتم محاكمته بدلا من الفتاة .. ليس بسبب البصمات لأنه لم يترك بصمة واحدة له فهويرتدى قفازه طوال فترة عمله .. ولكن بسبب وجوده فى مسرح الجريمة .

كيف يبرر وجوده هنا ؟

وإذا هرب من النافذة .. سيتم اتهام الفتاة .. ماذا يفعل ؟

إما هو أو الفتاة ؟

ـ افتح الباب .. وإلا اقتحمنا المنزل .

لابد أن يفكر (شهاب) بسرعة .. لقد أنذروه .. والخطوة التالية هى الاقتحام .

ماذا يفعل ؟

ـ سنقتحم بعد العد لثلاثة ..

واحد ..

اثنين ..

ثلاثة ..

و..

●●●●●

اقتحام

- س : ألم تخشى أن تترك دليلا خلفك قد يُدخلك السجن ؟

- ج : أنا منظف جرائم .. مهنتى هى التنظيف .. فأى دليل هذا يمكن أن أتركه خلفى وأنا الذى أقوم بتنظيف مسرح الجريمة واخفاء جميع الأدلة ؟! .. أنا حريص جدا على إخفاء أى دليل قد يورط العميل .. فهل يمكن أن أترك أنا دليل يورطنى ؟!

- لكن ..

●●●●●

- سنقتحم بعد العد لثلاثة .. واحد .. اثنين .. ثلاثة ..

و..

اقتحام ..

دفع رجال الشرطة الباب بعنف .. ثم فوجئوا بشخص يرتدى روب نوم فوق بيجاما يقف أمامهم فى منتصف الصالة ويقول منزعجا :

- ما هذا ؟ ما الذى تفعلونه بداخل منزلى ؟

ارتبك رجال الشرطة وقالوا :

- جئنا لننقذك ؟

صاح فيهم مندهشا :

- تنقذوني ! وهل ترونى أحتاج لإنقاذ ؟! هل طلبت منكم إنقاذى ؟

- لقد أتانا اتصال بأنك تتعرض لمحاولة قتل .

- ومن هذا المتصل السخيف ؟!

تردد الضابط قبل أن يقول :

- المفروض أنه أنت !

لوح الرجل بيديه محتجا وقال :

ـ أى تخريف هذا ! هل أتصل بكم لتأتوا هنا لتوقظونى وتزعجونى وتخربوا منزلى ؟!

ثم راح الرجل يفحص الباب وهويتأوه من الغيظ :

ـ أووه .. أوووووه ! .. بابى العزيز ! .. لقد خربتموه تماما .

ـ نحن آسفين جدا .. لم نقصد هذا .. لقد أنذرناك قبل الاقتحام .. أنت الذى لم تفتح الباب .

ـ لقد صحت فيكم وأخبرتكم أنى سأفتح لكم الباب .. أنتم الذين لم تسمعونى .. هذا ليس ذنبى .. سوف تدفعون تكاليف إصلاح الباب .. سأرفع عليكم قضية إزعاج المواطنين وتخريب المنشآت الخاصة واقتحام المنازل بدون تصاريح .. سأدفعكم الثمن غاليا .

ـ نحن آسفين .. آسفين تماما .. سندفع لك التعويض المناسب دون أى قضايا .. كم تريد ؟

وهكذا دفعوا بعض المال للرجل ترضيةً له .. ثم انصرفوا فى هدوء .

خلع الرجل الروب والبيجاما لتظهر من تحتها ملابسه الحقيقية .. ثم ارتدى قفازه مرة أخرى ووضع القناع على وجهه وراح يكمل تنظيف المكان من البصمات .

نعم .. هذا الرجل هو(شهاب) .

منظف الجرائم .

●●●●●

مسح (شهاب) البصمات كلها ثم دفن الجثة فى المكان الذى اعتاد دفن الجثث فيه .. لم يترك الجثة كما هى حتى لا يعلم أحد بحدوث جريمة القتل ويعرف رجال الشرطة وقتها أن الذى قابلهم لم يكن صاحب المنزل .

وفى منزله .. جلس مع ابنه (سمير) يتناولان طعاما جاهزا طلباه من مطعم قريب .. لقد تعودا على الأطعمة الجاهزة منذ وفاة (سلمى) التى كانت تطبخ لهم كل شىء .

سمع جرس الاستدعاء ..

نظر بلهفة له .. كان يتمنى أن يكون المتصل هو قاتل ابنته .

لكنه لم يكن هو.. للأسف .

لقد كان الرقم هو نفسه آخر رقم اتصل به .

ترك ابنه (سمير) يتابع الفيلم الرومانسى الكوميدى (محمود وشيرى فى الأدغال الجزء الثالث) أثناء تناول الطعام وذهب هو إلى إحدى الغرف ثم ضغط زر قبول المكالمة بعد غلق الباب جيدا و..

ـ آلو.. ماذا ؟ هل هناك جريمة أخرى ورطك فيها (شادى) أو(مادى) أو(عادى) ؟

سمع ضحكتها الصافية الجميلة عبر الهاتف ثم سمعها تقول :

ـ لا .. أنا أتصل بك لأشكرك مرة أخرى على ما فعلته معى .. لقد أنقذتنى بأعجوبة .. لقد صنعت معجزة .

ـ لا تبالغى .. أنا لم أفعل شيئا .

قالت الفتاة بانبهار :

ـ لا .. أنت ساحر حقيقى !! .. أولا : كيف عرفت أن الشرطة فى الطريق ؟

ـ ....

لم يرد طبعا .. كيف يخبرها أنه هو الذى اتصل بهم ليقبضوا عليها متلبسة بجريمتها ؟!

قالت بإلحاح :

ـ أرجوك .. أخبرنى .. كيف عرفت ؟

ـ غريزة الخطر .. اكتسبتها من عملى .

قالت بدلال :

ـ لا أصدق .. لابد أن هناك سرا .

بالفعل هناك سر .. لا يمكن أن يبوح به أبدا لها .. قال :

ـ لا يوجد أى سر .. كان مجرد تخمين صائب .

قالت الفتاة بغموض :

ـ لا .. أعتقد أن هناك سر .. وأعتقد أنى عرفته .

●●●●●

شعر (شهاب) بالقلق عندما سمع جملتها الأخيرة .. ما الذى تريد قوله تلك الفتاة الشقية ؟ .. سألها على الفور :

ـ ماذا تقصدين ؟

أجابته قائلة بذكاء :

ـ لابد أنك تتصنت على موجة جهاز الشرطة وتسمع كل الأوامر والأخبار وتعرف كل المهام التى يخرجون فيها .

تنفس (شهاب) الصعداء ثم قال بإعجاب :

ـ أنت ذكية !

ضحكت بسعادة قائلة :

ـ هل يعنى هذا أن تخمينى صحيح ؟

لم يهتم بإجابة سؤالها .. وإنما سألها مندهشا :

ـ كيف عرفت أن الشرطة جاءت ؟ .. ألم أطلب منك الرحيل والابتعاد عن المكان ؟

ـ نعم فعلت .. ولكنى انتظرت فى مكان لا يرانى فيه أحد لأتابع ما سيحدث وأطمئن عليك .

ـ تطمئنى علىّ !

عندما سمع (شهاب) آخر كلمتين سرت فى جسده قشعريرة باردة .. تذكر ابنته (سلمى) فى تلك اللحظة .. كانت هى التى لا تنام قبل أن تطمئن عليه وتسمع صوته وهويقول لها (تصبحين على خير) .. كانت دائما توصيه بأن يأخذ حذره وينتبه لنفسه عند خروجه من المنزل .. تتصل به عندما يتأخر لتطمئن عليه .. كأنه ابنها وليس أبيها .

أخرجته الفتاة من شروده عندما قالت له :

ـ عندما رأيت الشرطة تقتحم المنزل .. مُت من الفزع .

سألها محاولا التخمين :

ـ كنت قلقة من البصمات ؟!

قالت بحنان أنثوى جميل :

ـ لا .. كنت قلقة عليك .

ـ علىّ أنا !

شعر (شهاب) بدقات قلبه تخفق بطريقة غير طبيعية .. وشعور غريب يجتاحه !!

قالت الفتاة التى لم تكن تعلم أى شىء عن تأثير كلماتها عليه فى تلك اللحظات :

ـ لو أنهم وجدوا البصمات كنت سأهرب للخارج فورا ولن يجدنى أحد .. لكنى كنت قلقة عليك أنت .. لأنك كنت لا تزال بالداخل .. لكنك كنت ذكى جدا .. لقد لمحتك وأنت تتحدث معهم بثياب نوم المرحوم .. لقد تصرفت بذكاء شديد .

ـ وكيف عرفت أنه أنا ؟

سمع ضحكتها الرائعة مجددا وهى تقول :

ـ بالتأكيد ليس المرحوم هو الذى نهض ليتحدث معهم .

ـ ....

ـ أتعلم أنك وسيم ؟!

سألها مندهشا من تصريحاتها الغريبة :

ـ ماذا ؟

ـ لم أرى وجهك جيدا بسبب بُعد المسافة .. لكنى أعتقد أنك وسيم .. لم أكن أتخيل أنك تحمل هذا الوجه الجميل خلف القناع .. ولولا الشرطة لما خلعت القناع واستطعت رؤية وجهك .

ـ كنت مضطرا لخلعه .

ـ أنا سعيدة أنك خلعته .

ـ ليس من المفروض أن أخلعه أبدا أثناء العمل .

لم يرى ابتسامتها الهادئة عندما سألته :

ـ هل ستخلعه عندما أراك مرة أخرى ؟

سألها ساخرا :

ـ هل تنوين ارتكاب جريمة ؟

أجابته بدلال :

ـ لا .. ولكنى أريد رؤيتك .

سألها مندهشا :

ـ لماذا ؟

ـ أريد أن أشكرك وأتعرف عليك أكثر و..

ـ لا .. لا .. هذا لن يحدث أبدا .

سألته بضيق :

ـ لماذا ؟

أجابها بمنتهى الجدية والحزم :

ـ لدى أسبابى .. لا أستطيع مقابلة أحد إلا فى حدود العمل .

قالت بعناد طفولى :

ـ حسنا .. سأرتكب جريمة من أجل رؤيتك .

ضحك (شهاب) فقالت له متظاهرة بالجدية :

ـ أنا لا أمزح .

ـ حسنا .. اتصلى بى عندما ترتكبيها .

ـ أنت حر ! .. هناك ضحية ستموت بسببك .

ـ بسببى أنا ! لماذا ؟

ـ لأنك لا تريد أن تقابلنى إلا إذا ارتكبت جريمة واحتجتك لتنظيفها .

سألها بلهجة حادة :

. ما الذى تريدنه بالضبط ؟

. أريد أن أقابلك .. نجلس سويا .. نأكل شيئا ما فى أى مكان تحبه .. ندردش قليلا .. هذا كل شىء .. هل هذا مستحيل ؟

قطع عليها الطريق قائلا :

. نعم .. مستحيل .

. لماذا ؟

. اسمعينى يا .....

قالت على الفور :

. (نسرين) .

قال بغضب :

. لم أطلب منك أن تقولى اسمك .

قالت ببساطة :

. ولكنى قلته .

حاول أن يتغاضى عن الأمر وقال :

. حسنا .

ولكنه فوجئ بها تسأله وكأنهم فى جلسة تعارف فى أحد النوادى أو احدى غرف الدردشة على الإنترنت :

. وأنت ؟

أجابها بلهجة حازمة صارمة :

. لا .. ليس من المفروض أن تعرفى اسمى .

سألته ببراءة :

. لماذا ؟

تجاهل سؤالها الساذج وقال متقمصا شخصية الأب الناصح :

.اسمعينى يا فتاة ...

حاولت تذكيره باسمها .. فقالت ضاغطة على كل حرف به :

.(نسريييييين) .

.حسنا .. اسمعينى يا (نسرين) ..

ابتسمت بسعادة قائلة :

.اسمى جميل على لسانك !

قال بجدية :

. اسمعينى جيدا .. وانتبهى لما أقوله .. أنا لست (شادى) أو(هادى) أو(فادى) أو أى واحدا من الذين تعرفينهم وترافقينهم طوال الوقت .. ولا أصلح أن أكون (بوى فريند) لكِ .. أنتِ فى عمر ابنتى و..

قاطعته قائلة بدهشة :

.هل لديك ابنة فى سنى ؟ .. ما اسمها ؟

لم يهتم بإجابة سؤالها وأكمل قائلا :

.وعلاقتى بأى عميل تنتهى بمجرد انتهاء المهمة .. ولا يمكن أن تستمر أكثر من ذلك .. فى هذا خطر علىّ وعليه .. وأنا قمت بالتنظيف من أجلك وانتهت علاقتى بك فى تلك الساعة .. لا تتصلى بهذا الرقم مجددا .. سلام .

وأنهى المكالمة دون أن يترك لها فرصة للتحدث والرد عليه .. وعاد ليتناول طعامه مع ابنه ويستكمل متابعة أحداث الفيلم الكوميدى .

•••••

.س : هل أنتم كثيرون ؟

.تقصد من ؟

.منظفوا الجرائم .

.ج : نعم .. ونزداد كلما إزداد معدل الجريمة .. فالاحتياج دائما هو أساس ظهور وانتشار أى مهنة .

•••••

فى اليوم الخامس ..

بينما كان (شهاب) يقود سيارته فى جولته المعتادة .. حدثت له مفاجأة سعيدة ..

لقد حدث ما تمناه .. لقد وجد ضالته أخيرا .. لقد انتهت مهمة البحث ..

لقد لمح قاتل ابنته .

كان يعبر الطريق أمامه .

لم يصدق نفسه فى البداية ..

دقق النظر .. إنه هو بالفعل .. بوجهه الممتلئ .. بلغده الكبير .. بشعره الأسود .. بشاربه الكثيف .. بكرشه السمين .. إنه هو كما رآه آخر مرة بالضبط .

شعر أن دعواته استجابت .. لقد تمنى كثيرا أن يجد القاتل قبل انقضاء السبع أيام .. حتى يستطيع الانتقام .

كان يخشى أن يسافر القاتل خارج البلاد وتضيع الفرصة للأبد .

إن الفرصة مثالية أمامه الآن لتنفيذ انتقامه ..

الطريق خاليا ..

لذا قام بتزويد سرعة سيارته ..

وانطلق بها ناحية القاتل بدون تردد ..

والسرعة تزداد تدريجيا .

ثم ..

•••••

الانتقام

- س : هل قتلت أحدا ؟

- ج : لا .

- أنت تكذب .

- لا .

- قل الحقيقة .

- لم أقتل أحدا قط .

●●●●●

أوقف (شهاب) سيارته على بعد متر واحد فقط من القاتل ..

وصدر صوت مزعج من إطارات السيارة نتيجة التوقف المفاجىء بعد السرعة العالية .. لفت انتباه المارة، وجعل بعضهم يتصايحون .. نظر القاتل له بغضب، وضرب مقدمة السيارة بقبضة يده بقوة مرتين، وتلفظ ببعض السباب البذىء ثم أكمل سيره .. يبدوأنه كان متعجلا جدا .

رآه (شهاب) يتجه نحوإحدى السيارات .. ويستقلها .

لم يهتم (شهاب) بصياح الناس من حوله وسبابهم ولومهم المستمر له على التهور فى القيادة .. سمع جملا كثيرة من نوعية :

- ما هذه السرعة الجنونية ! كنت ستقتل الرجل .

المشكلة أنه كان يريد قتله .. وفشل !

كان (شهاب) فى حيرة شديدة من أمره .. قاتل ابنته أمامه ولا يستطيع قتله .. لماذا ؟

لماذا ؟

لماذا لم يترك سيارته تسير بنفس السرعة حتى تصدمه ثم تمر على جسده وتدهسه دهسا وينتقم لابنته ؟

لماذا أوقفها قبل أن تصدمه ؟

لماذا تركه يعيش ؟

هل كان خائفا من قتله أمام المارة فى الطريق العام ؟ هل خاف من عقوبة القتل إذا رآه بعض الناس أولمحوا رقم سيارته وتوصلوا لهويته .. أو قبضوا عليه إذا استطاعوا إيقاف سيارته ؟

لماذا لم يقتله ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

أدار سيارته وانتظر حتى تحركت سيارة القاتل .. ثم ترك مسافة كافية بينه وبينها وراح يتبعها من بعيد .. سيراقبها حتى يعرف كل شىء عن قائدها .

توقفت السيارة أمام أحد المنازل ..

وهبط القاتل منها ودخل المنزل بسرعة .

الآن عرف (شهاب) منزله .. يمكنه معرفة أى شىء عنه بعد ذلك .

ثم فكر .. ربما هذا المنزل لا يخصه وقد أتى لزيارة أحدا من سكانه .. لذا سينتظر لبعض الوقت لمراقبته .. ليتأكد .

جلس فى سيارته لساعات حتى غلبه النوم .. القاتل لم يخرج خلال تلك الساعات .. الاحتمال الأكبر أن هذا هو منزله .

أدار سيارته وذهب إلى محل لبيع الأسلحة، واشترى مسدسا جيدا خفيف الوزن سهل الاستخدام به عدسة حتى لا يخطئ التصويب .. واشترى أيضا خط جديد لهاتفه .

ثم عاد مرة أخرى لمنزل القاتل .. وظل جالسا منتظرا فى سيارته .. سواء كان القاتل موجودا بالداخل أوخارجه .. سوف ينتظر ظهوره ليقتله .

خلال فترة المراقبة .. كان يسمع جرس الاستدعاء مرارا .. مهام تنظيف كثيرة فى انتظاره .. لكنه لم يرد على إياها .

لا وقت الآن للتنظيف أو التظاهر بالتنظيف ..

هذا هو وقت القتل !

بعد حوالى ساعة من الانتظار .. ظهر القاتل أمامه خارجا من منزله ..

قبض (شهاب) على مسدسه بقوة .. وصوبه ناحيته .. وقال بكل حنق :

ـ الآن .. سأقتلك .

اتصل (شهاب) من الرقم الجديد على رقم القاتل ليتأكد أنه هو..

فرأى القاتل يخرج هاتفه من جيبه لينظر إلى الرقم ..

لم يرد عندما رآه رقما غير مسجل عنده ..

إنه قاتل ابنته فعلا .. أصبح متأكد تماما الآن .

تلفت (شهاب) حوله .. تأكد أن أحد لا يراقبه .. الشارع خاليا تماما .. لا أحد يطل من النوافذ .. القاتل يسير وحيدا .. كاتم الصوت مثبت جيدا .. العدسة مضبوطة .. نقطة الليزر الحمراء على رأس القاتل .. الرصاصة ستنطلق فى منتصف جمجمته تماما ..

و..

توقف القاتل ليتحدث فى هاتفه ..

الفرصة ذهبية الآن .. فالهدف الثابت أفضل بكثير من الهدف المتحرك .

التقط (شهاب) نفسا عميقا وأخرجه .. لابد أن يهدأ ليستطيع التركيز فى مهمته ..

المسدس فى يده ثابتا .. الهدف أمامه ثابتا .. ليس عليه سوى أن يضغط بسبابته على الزناد فتنطلق رصاصة الانتقام .

واحد ..

اثنان ..

ثلاثة ..

اضغط .. اضغط .. اضغط ..

لماذا لا يستطيع إصبعه الاستجابة لأوامر عقله ؟ لماذا لا يستطيع الضغط على الزناد ؟

القاتل أمامه مباشرة .. الهدف واضح تماما .. الأمر لا يحتاج إلى قناص .. فقط يضغط على الزناد وتنتهى المهمة .. ويا لها من مهمة !

لم يستطع تنفيذها .

حاول .. وحاول .. وحاول .. لكنه لم يستطع .

أصبعه لم يتحرك من مكانه كأنه أصيب بالشلل .. ما الذى يحدث له ؟

لقد اعتقد أنه يستطيع القتل بسبب خبرته الطويلة فى عمله كمنظف جرائم .. لقد عاش حياته بين القتلة والسفاحين والمجرمين .. اعتقد أن القتل سهلا من كثرة ما رآه من جرائم ..

لكن ..

القتل ليس سهلا !

هذه هى الحقيقة التى اكتشفها الآن .. القتل ليس سهلا .

أو أن العيب به هو.. هوالذى لا يستطيع القتل .

لقد نظف جرائم كثيرة ..

دفن جثث كثيرة ..

لكنه لم يقتل من قبل .

والآن .. ما الذى يفعله ؟

كيف ينتقم لابنته وهو لا يستطيع القتل ؟

هل يؤجر قاتلا محترفا ثم يقوم بالتنظيف وراءه ؟

لا .. لا يريد أن يُدخل أحدا فى مهمة انتقامه .. سينتقم هو بنفسه .. ولكن كيف ؟

كيف ؟

هذا هوالسؤال .

●●●●●

عاد (شهاب) إلى منزله وهوفى قمة الضيق ..

كان عقله يفكر فى إيجاد وسيلة للانتقام .. كيف يقتل رجلا دون أن يقتله؟

إنه لا يستطيع القتل .. لم يستطع دهس القاتل بسيارته .. لم يستطع ضغط

الزناد .. كيف يحل هذه المشكلة ؟

هل يبحث عن وسائل أخرى للقتل يمكنه تنفيذها دون صعوبة ؟ أم يتدرب على القتل ويعالج مشكلته النفسية الكبيرة ؟ وكم من الوقت يحتاج لعلاج تلك المشكلة خاصة أن القاتل سيسافر للخارج خلال أيام ؟

كان عقله مشغولا بتلك الأسئلة عندما فتح باب منزله .. المفروض أنه ترك ابنه (سمير) وحيدا . كالعادة منذ وفاة أخته . عندما خرج من منزله آخر مرة .. لكنه عندما فتح الباب فى تلك اللحظة وجد شخصا يجلس مع ابنه .

صاح بانزعاج شديد :

ـ ما هذا ؟! كيف دخلت هنا ؟

•••••

زيارة

ـ س : هل أخبرت أبنائك عن طبيعة مهنتك ؟

ـ ج : لا .. طبعا .

ـ س : ماذا كنت تقول لهم ؟

ـ ج : ابنى الصغير (سمير) .. كنت أكذب عليه وأقول أى مهنة تخطر على بالى لأنى أعلم جيدا أنه سوف ينسى ما أقوله .. أما ابنتى (سلمى) كنت أخبرها أننى أعمل كممرض فى أحد المستشفيات .. ولكنى لم أكن أخبرها باسم المستشفى حتى لا تفكر فى زيارتى .

•••••

قالت (نسرين) بابتسامة هادئة بريئة لطيفة على وجهها الجذاب الجميل:

ـ لقد طرقت الباب .. و(سمير) فتح لى .

قبض الأب على ذراع ابنه بقوة وقال له بغضب :

ـ ألم أطلب منك ألا تفتح لأحد أبدا ؟ .. ألم أحذرك من ذلك مرارا ؟

حاولت (نسرين) تخليص الطفل من قبضة أبيه وقالت :

ـ لا ذنب له .. أنا ألححت عليه كثيرا .. لمدة ساعة .

قال (شهاب) بلهجة أبوية صارمة :

ـ هو أخطأ .. ولابد أن أعاقبه .

بكى الطفل وسالت دموعه بغزارة .. استطاعت (نسرين) تخليصه من أبيه وراحت تحتضنه وتمسح دموعه .. قالت :

ـ إن أردت أن تعاقب أحدا .. عاقبنى أنا .

ثم قالت له بلهجة أنثوية مثيرة :

ـ سأحب كثيرا معاقبتك لى .

قال (شهاب) بلهجة جادة حادة :

.ما الذى أحضرك إلى هنا ؟ وكيف عرفت أننى أسكن هنا ؟

وقبل أن تجيب .. قال :

.لنتحدث فى غرفة المكتب .

تلفتت حولها وسألته :

.أين ؟

أشار بيده قائلا :

.من هنا .

دفعها أمامه إلى غرفة المكتب كأنها ابنته التى خالفت تعليماته .. ثم نظر إلى (سمير) وقال مهددا :

.عقابك ستناله فيما بعد .. أما الآن فاجلس عندك ولا تتحرك .. إياك أن تتحرك من مكانك .

ثم أغلق باب غرفة المكتب خلفهما، واستدار للفتاة التى راحت تجول ببصرها فى المكان .. قال لها :

.أجيبى السؤال .

سألته بدلال أنثوى :

.أى سؤال ؟

قال بجدية :

.أولا : كيف عرفتِ المكان ؟

دارت حوله وهى تقول :

.لقد انتظرتك يومها ثم راقبتك .. وتابعتك بسيارتى .

شعر بالغضب من نفسه وقال :

.لم أنتبه لك .. كيف حدث هذا ؟!

تحركت برشاقة فى المكان وهى تجيب سؤاله :

ـ لقد كنت حريصة جدا .

ـ حسنا .. السؤال الثانى : ما الذى أتى بك هنا ؟

اقتربت منه وهى تقول :

ـ جئت لأشكرك .

ابتعد عنها وقال :

ـ لقد شكرتنى بما يكفى فى الهاتف .. ثانيا : هذا عملى .. لا أستحق شكر عليه .

اقتربت منه مرة أخرى قائلة بلهجة أنثوية مثيرة :

ـ وجئت لأتعرف عليك أكثر وعلى عائلتك وعلى مهنتك .

أمسكها من ذراعها بقوة وعنف وقال لها بغضب :

ـ إياك أن تكونى قد تحدثت مع ابنى عن مهنتى .

ملصت ذراعها من قبضة يده وقالت :

ـ لا طبعا .. اطمئن .

ثم تحسست ذراعها وقالت بنعومة :

ـ أنت قوى جدا .

أشاح بوجهه بعيدا وقال :

ـ من فضلك أخرجى الآن .

قالت بدلال :

ـ هل تطردنى ؟

أشاح بوجهه بعيدا عنها وقال بصرامة :

ـ كما قلت لك من قبل .. علاقتى بالعميل تنتهى بانتهاء المهمة .

لم تهتم بما قاله لها وقالت :

ـ مكتبك جميل .. ذوقك رائع !

ثم أشارت إلى صورة (سلمى) المعلقة على الحائط وسألته :

.هل هذه هى ابنتك ؟

أجابها باقتضاب :

.نعم .

.ما اسمها ؟

. (سلمى) .

. الله يرحمها .

التفت لها وسألها بشك :

. كيف عرفتِ أنها ماتت ؟

أشارت بإصبعها إلى الصورة وقالت :

. هناك شريط أسود على الصورة .

لمحت الحزن فى عينيه عندما تذكر ابنته .. فقالت له :

. أنا آسفة .. لم أكن أقصد أن أ...

أشاح بوجهه بعيدا عنها وقال :

. لا عليك .

. هل يمكننى أن أعرف كيف ماتت ؟

قال بلهجة حادة ليقطع عليها الطريق :

. لا .. ومن فضلك أخرجى حالا .

هذه المرة استجابت لطلبه واتجهت لباب المكتب وقالت شاعرة بالخجل :

. آسفة جدا .. لم أرد إزعاجك .

شعر (شهاب) أنه كان قاسيا جدا عليها .. فكر فى الاعتذار لها عن لهجته الحادة معها ولكنه وأد الفكرة فى نفس لحظة ولادتها .. وفضل أن يتركها ترحل هكذا .. حتى لا تفكر فى الرجوع مرة أخرى .

فجأة انطلق صوت جرس الاستدعاء .. سألته بلهفة :

. هل هذه مهمة جديدة ؟ هل ستذهب للتنظيف الآن ؟

. ...

ـ أريد أن آتى معك .

قال مندهشا :

ـ تأتين معى ! هل تعتقدين أننى ذاهب فى رحلة ؟! .. هذا عمل !

ـ أعرف .. وأريد أن آتى معك .

سمع هذه الجملة من قبل .. وبنفس الإلحاح .. كانت من ابنته .. (سلمى) .

كان يخبرها أنه ذاهب إلى العمل وهى تلح فى الذهاب معه .. كان يخبرها أنها لن تطيق جو المستشفيات والمرضى والدم .. كانت تصر أكثر على الذهاب معه .. فكان يرفض بشدة ويحاول إقناعها بشتى الطرق حتى لا تأتى معه .. فكانت تتركه غاضبة وتذهب للبكاء فى غرفتها .. ويذهب أخيها الصغير وراءها .. فيتركهما ويذهب إلى عمله الحقيقى كمنظف جرائم .

ـ لا يمكن أن تأتى معى .. هذا عمل خطير جدا .. لا يحتمل أى أخطاء .. وسرى جدا .. لا يمكن أن يعلم بتفاصيل الجريمة سوى العميل والمنظف فقط .

قالت بذكاء :

ـ وكيف تعلمت المهنة إذن ؟ وكيف ستنقل خبرتك لآخر فى المهنة ؟ لابد أن يأتى معك ويساعدك حتى يستطيع القيام بالمهمة وحده فيما بعد .

ـ ليس لدى وقت لهذا النقاش والجدال .. اخرجى الآن .

قالت بعناد :

ـ لن أخرج .

فوجىء بردها .. لكنه قال بسرعة وبلهجة حاسمة :

ـ ما الذى تقولينه ؟! .. هذا منزلى .. وأنا أطلب منك الخروج .. ولابد أن تنفذى .

قالت بعناد طفولى وهى تضع يديها فى وسطها :

ـ وإذا لم أنفذ ...

تذكر ابنته (سلمى) عندما كانت تعانده فى كثير من الأمور .. كانت تقول نفس الكلام .. تقوم بنفس الحركات .. هز رأسه بقوة وكأنه ينفض عنها ذكرياته مع ابنته .. ليعود لعالم الواقع ويواجه تلك الطفلة العنيدة التى لا تريد أن تسمع الكلام .. وهو لا يملك وقتا للعب الأطفال .. قال وهويضع الورقة الأخيرة لينهى تلك اللعبة السخيفة :

ـ سوف أبلغ الشرطة .

قالها بلهجة جادة وكأنه ينوى فعلا الاتصال بالشرطة لإخراجها من منزله .. وليس مجرد تهديد أجوف .. قالت له وهى تستعد للرحيل :

ـ حسنا .. سأخرج .

وقبل أن تكتمل ابتسامة النصر على شفتيه .. فوجئ بها تقول له وهى ترفع سبابتها فى وجهه :

ـ ولكنى سأنتظر بالخارج .. وعندما تخرج من أجل مهمتك .. سوف آتى وراءك .. وأتمنى أن تبلغ الشرطة وقتها لتتخلص منى .

●●●●●

القرار

قال (شهاب) متعجبا :

.هل ستفعلين ذلك حقا ؟

راح يتفرس فى ملامح وجه (نسرين) وهى تجيب بجدية :

.نعم .. سأفعل .. سأنتظرك خارج المنزل حتى تخرج لمهمتك .

واتجهت ناحية الباب .. أمسكها من ذراعها بقوة ليوقفها وسألها مندهشا:

.لماذا ؟

.لأنى أريد الذهاب معك .

.لماذا ؟

.لأساعدك .. لأتعلم منك .

.لماذا ؟

.أريد أن أجرب شيئا جديدا .. أتعلم شيئا جديدا .. أمارس شيئا جديدا .

قال بانفعال شديد :

. أمامك هوايات كثيرة .. القراءة .. السباحة .. وغيرها .. ألعاب كثيرة يمكن أن تمارسيها .. كرة اليد .. التنس .. وغيرها .. ويمكنك أيضا الانضمام لبرنامج (اللعب مع الكبار) أو(حياة المخاطر) أو تشاركى فى مسابقة المواهب الجديدة (صوت الكروان) .

فاجأته قائلة :

.لا .. لا أريد أيا من هذا .. أنا أريد أن أنظف جرائم .

صاح غاضبا :

.لماذا ؟! هل تريدين أن تكونى منظفة جرائم فى المستقبل ؟

لم تهتم بصياحه وقالت بهدوء :

ـ ربما .

انطلق جرس الاستدعاء مرة أخرى .. لكنه لم يهتم .. فقالت له :

ـ ألن ترد ؟

ـ بلى .

ـ هل تريدنى أن أخرج لتسمع العنوان جيدا ؟ .. حسنا .. سأخرج .

جلس على أحد المقاعد واسترخى تماما وقال بهدوء شديد :

ـ افعلى ما يحلولك .. ولكنى لن أرد .

ـ ماذا ؟

فاجأها قائلا :

ـ لقد اعتزلت !

هو بالفعل اعتزل .. ولكنه لم يخبر أحدا .. لكنه أخبرها فى تلك اللحظة حتى لا تنتظره بالخارج .. اعتقد أنه بهذا التصريح سوف يتخلص منها .

قالت مندهشة :

ـ اعتزلت ! كيف ؟ ألن تخرج ؟

قال بصدق :

ـ كما أخبرتك الآن .. لقد اعتزلت .. ولن أرد على هذا الهاتف أبدا .

فكرت (نسرين) فيما يقوله .. شعرت أنه يكذب عليها .. حتى لو بدا صادقا أمامها .. لا يمكن أن يكون قد اعتزل المهنة .. بهذه الطريقة المفاجئة وفى هذا التوقيت ! لابد أنه يقول هذا ليتخلص من إلحاحها .. قالت مبتسمة بخبث :

ـ أنت تقول هذا حتى لا تجعلنى أنتظر بالخارج ولكنى متأكدة أنك ستخرج للعمل .. ولهذا سأنتظر .. سأنتظر حتى تخرج .

قال ساخرا :

ـ هذا يعنى أنك ستنتظرين للأبد .

قالت بعناد :

ـ سأنتظر مهما طال الوقت .. سأنتظر .

وهمّت بالمغادرة .. نهض (شهاب) من مقعده غاضبا وقال :

ـ أنا اعتزلت حقا .. أقسم لك أنى اعتزلت .. لن أذهب فى أى مهمة تنظيف بعد الآن .

قالت بشك وهى لا تصدق هذا القرار المفاجىء :

ـ كيف ؟ هكذا فجأة قررت الاعتزال !

ـ لا .. لقد فكرت فى أمر الاعتزال كثيرا .. واليوم سوف أنفذ القرار .

لم تصدقه لذا قالت :

ـ حسنا .. سأظل أراقبك لأتأكد أنك ملتزم بتنفيذ القرار .. سوف أذهب خلفك فى كل مكان .. سأعرف إن كنت قد اعتزلت حقا أم لا .

لقد تطور الموقف بطريقة لم يتصورها (شهاب) ..

هذه الفتاة عينت نفسها مراقبة شخصية له .. ستراقب كل تحركاته .. وهو يريد الخروج من أجل الانتقام .. لا من أجل التنظيف .. كيف سينفذ انتقامه وهو تحت المراقبة ؟

سيحاول التخلص منها وخداعها والهروب من مراقبتها .. لكنها ذكية وقد لا يستطيع فعل ذلك .. وإذا راقبته ستعرف كل شىء .. وربما تراه وهو ينفذ انتقامه .. لن يكون هذا فى صالحه أبدا .

لذا لابد أن يتخلص منها الآن .. وبأى شكل ..

إنه يريد مساحة كبيرة من الحرية والهدوء حتى يستطيع التركيز فى عمله الجديد : الانتقام .

ـ وإلى متى ستقومين بمراقبتى ؟

ابتسمت وقالت وهى تعد على أصابعها كالأطفال :

ـ يوم .. يومين .. ثلاثة .

فكر (شهاب) أن هذه هى المدة المتبقية له .. قبل سفر القاتل .. لا يمكن أن ينتظر أكثر منها .

ثم فوجئ بها تتابع قائلة بدلال :

. أسبوع .. اثنين .. ثلاثة .

صاح محتجا :

. ما هذا ؟ .. لا لا لا .. أنا لا أحب أن أكون تحت المراقبة .

. لا تقلق .. لن تشعر بى بتاتا .

. ولو.. ! يكفى أن أكون عالما أننى مراقَب .

. إذا كنت قد اعتزلت المهنة حقا .. لماذا تتضايق من مراقبتى لك ليل نهار ؟

.. أعتقد أنها شيئا جميلا .. سيكون لديك حارس شخصى مجانى .

. لا أريد حراس .. أريد العيش بحرية .. دون عين تراقبنى .

قالت بدلال أنثوى ساحر :

. سأكون العين الساهرة على راحتك .

صاح بغضب :

. أليس لديك عائلة أو أحدا يقلق عليك ؟

قالت بحزن :

. لا .. أنا وحيدة .

فكر (شهاب) بسرعة لإيجاد حلا لهذه الورطة .. سألها :

. ما رأيك فى العمل كجليسة أطفال ؟.. سوف تراعين ابنى أثناء غيابى بالخارج .

هزت (نسرين) رأسها معترضة وقالت :

. لا .. عمل جليسة الأطفال لا يناسبنى .. أنا أريد العمل معك فى تنظيف الجرائم .

صاح (شهاب) بغضب وهو يمسك هاتفه الخاص بالعمل :

. لقد اعتزلت .. صدقينى لقد اعتزلت .. وها هو الهاتف سأحطمه أمامك حتى لا أستقبل منه أى مكالمات بعد الآن .

هو لم يعد يحتاج هذا الهاتف بالفعل .. لقد اعتزل المهنة .. ورقم القاتل يحفظه جيدا .. وأصبح يعرف منزله أيضا ..

وقبل أن يحطم هاتف العمل أمسكت (نسرين) يده بسرعة لتمنعه وقالت بتوسل :

ـ أرجوك .. لا تحطمه .

تعجب من رد فعلها الغريب وقال :

ـ ما هذا ؟! لقد قلقتِ جدا على الهاتف !! .. أنت فعلا تريدين تعلم مهنة منظف الجرائم ؟!

قالت بتوسل :

ـ نعم .. وسوف أدفع لك ما تريده حتى تعلمنى .

قال بلهجة صارمة :

ـ لا .. لن أعلمك شيئا .. هذه المهنة خطيرة .. وغير شريفة .

قالت بإلحاح :

ـ ولكنى أريد تعلمها .. خذنى معك مرتين واعتزل بعد ذلك .. وأنا سوف أتعلم كل شىء خلال هاتين المرتين .

ـ مرتين ! لماذا ؟ .. لوأردت تعليمك يمكننى ذلك فى أى مكان .

ـ لا .. خذنى معك .. التدريب العملى أفضل من التدريب النظرى .

شعر بالشك من ناحيتها ..

لماذا مرتين ؟

ولماذا تريد تدريبا عمليا ؟

ما الأمر ؟

لمح يدها التى راحت تتحسس بقلق جيب بنطلونها بين الحين والآخر .. فقال لها بخبث ليجاريها :

ـ حسنا .. سأعلمك .

صفقت بيديها بسعادة طفولية واندفعت ناحيته لتحتضنه بقوة .. منعها بيديه ثم قال بغموض :

.لكن .. أولا : يجب أن تصارحينى .

ثم .. وضع يده فى جيب بنطلونها بسرعة رهيبة ليخرج ذلك الشيء الذى جعل جيبها منتفخا طوال الوقت فى بنطلونها الضيق .. وسألها بحدة :

.ما هذا ؟

●●●●●

الخطة الجهنمية

قالت (نسرين) وهى تمد يدها :

ـ هات .. هذا لا يخصك فى شىء .

أبعد (شهاب) الشىء عن متناول يدها وقال :

ـ ألم نتفق على أن تصارحينى قبل أن أعلمك أى شىء ؟

قالت بحنق :

ـ لقد اتفقنا على أن تعلمنى فقط .. بعد ذلك قلت هذا الشرط ولم تتركنى أوافق أو اعترض عليه .. قمت بسرقتى فقط .

ـ أنا لم أسرقك .

ـ لا .. لقد سرقتنى .

كان الشىء عبارة عن حافظة نقود .. لوح (شهاب) بها فى وجه (نسرين) وقال لها :

ـ وأنت .. سرقتها من مَن يا لصة ؟

قطبت (نسرين) حاجبيها وقالت بحنق :

ـ أنا لست لصة .. أنا لم أسرقها من أحد .. هذه ملكى .

قال (شهاب) ضاحكا :

ـ لا أعتقد أنكِ رجلا لتستعملى هذا النوع .

ارتبكت (نسرين) وحاولت التفكير بسرعة لإيجاد حجة منطقية .. قالت :

ـ هى ملكى ولكنى لا أستعملها .. إنها هدية من صديق .

كانت حجة واهية .. لذا ضحك (شهاب) قائلا :

ـ وأنت .. هل أعطيتِ صديقكِ أحمر شفاه هدية ؟ أم علبة مستحضرات تجميل كاملة ؟

فكرت (نسرين) ثم قالت :

. لا أقصد هدية .. أقصد تذكار .. هذه تذكار منه لأتذكره دائما كلما رأيتها .. من فضلك اعطنى إياها .

ومدت يدها مرة أخرى لتخطف حافظة النقود من يده .. لكنه أبعدها عنها ثم راح يتفحص محتوياتها وقال ساخرا :

. يعطيك حافظة نقوده كتذكار .. وبها بطاقاته الإلكترونية وكروته الشخصية وبعضا من أمواله !

شعرت (نسرين) أنه لا مفر من الاعتراف .. قالت :

. حسنا .. أنا سرقتها من (شادى) .. ولكنه يستحق ذلك .

قال (شهاب) وهويحاول معرفة الحقيقة كاملة منها :

. لوأنك تريدين سرقته .. كنت اكتفيت بسرقة ماله أوبطاقته الائتمانية أوبطاقة إعانة البطالة الإلكترونية .. لكنك سرقت حافظة نقوده كلها .

فكرت بسرعة ثم قالت :

. لم يكن أمامى متسع من الوقت لأحصل على ما أريده منها لذا سرقتها كلها .

. ما زلت تكذبين .

قالت بعناد أحمق :

. أنا لا أكذب .

. الملابس الفخمة التى ترتديها والخاتم الذى يزين إصبعك والمبلغ الكبير الذى دفعته لى مقابل التنظيف يدل على أنك لا تحتاجين مالا .. بل الأصح هو أن (شادى) الذى يحتاج إلى مالك وربما يسرقك كما سرق الرجل المسكين وقتله .

. أنا لم أسرق ماله لأنى أحتاجه .. لقد سرقته لأنى أريد أن أغيظه .. أضايقه .. أنتقم منه بسبب تفكيره الدنيء وتخطيطه لتوريطى فى جريمة سرقة وقتل.

. ما زلت تكذبين .. المشكلة أنك لا تجيدين الكذب .

ـ لماذا تقول هذا ؟

ـ لوأنك أردت إغضابه كان من الأولى أن تسرقى المبلغ الكبير الذى سرقه من الرجل قبل قتله .. وليس مبلغا تافها موجودا فى حافظة نقوده .

شعرت (نسرين) شعور المتهمة المذنبة التى تقف أمام وكيل النيابة وهو يعتصرها بالأسئلة وهى لا تجد إجابات مقنعة له .. فى النهاية تستسلم وتعترف لتستريح :

ـ حسنا .. سأخبرك بكل شىء .

●●●●●

قالت (نسرين) :

ـ لقد سرقت (شادى) لأنتقم منه .. فكرت أن أذهب معك فى مهمة تنظيف وأتظاهر بأننى أتعلم منك .. ثم انتظر حتى تنتهى من مسح جميع البصمات ثم أقوم فى النهاية بوضع حافظة نقوده بجوار الجثة .. لتجدها الشرطة ويتم القبض عليه .

ابتسم (شهاب) بإعجاب وقال :

ـ يا لها من خطة جهنمية ! أنت عبقرية !

ابتسمت (نسرين) بخجل قائلة :

ـ شكرا .

ـ لا أعلم كيف استطاع (شادى) خداعك وأقنعك بالذهاب إلى مسرح الجريمة !

قالت بحكمة :

ـ عندما نحب .. نضع العقل جانبا، ولا نأخذ حذرنا من أقرب الناس إلينا.

ـ والآن .. أنت تكرهينه بشدة .

ـ بالضبط .. ولهذا يعمل عقلى بكفاءة تامة .. لقد ذهبت إلى منزله .. واستخدمت نسخة المفتاح التى معى ودخلت .. سرقت الحافظة وخرجت بهدوء وهو يزال نائما .

ـ ألم تخافى أن يستيقظ ويراك تسرقينه ؟

ـ كنت حذرة جدا .. ولو استيقظ كنت سأقول أى حجة تبرر وجودى عنده .. كنت سأقول مثلا أننى جئت لأصفعه عقابا على ما فعله معى .. أولآخذ ملابسى التى تركتها فى شقته .

قال (شهاب) وهويتأمل حافظة نقود (شادى) :

ـ أى أنك سرقت الحافظة من أجل الحافظة نفسها .. وما بها من بطاقات هوية .. لا من أجل المال .. كنت تريدين وضعها بجوار الجثة وكأن القاتل أسقط حافظة نقوده بعد تنفيذه الجريمة .. ولهذا كنت مصممة على الذهاب معى فى مهمة التنظيف .. كنت متعجلة فى الانتقام .. وقبل أن يكتشف (شادى) ضياع حافظة نقوده .. كنت تريدين توريطه فى جريمة لم يرتكبها طالما أنه لم يتورط فى جريمته التى ارتكبها .

ـ ولا تنس أنه هو الذى أراد فى البداية توريطى فى جريمة لم أرتكبها .

ـ الجريمة التى قمت أنا بتنظيفها .

ـ بالضبط .

ابتسمت (نسرين) وراحت تداعب شعره بدلال أنثوى وأنفاسها تلفح وجهه وتقول :

ـ والآن .. هل ستساعدنى ؟

أبعدها عنه بهدوء .. وجلس خلف مكتبه يفكر .. جلست فوق المكتب وقالت:

ـ كل ما أريده منك هوأن تذهب إلى مهمة تنظيف واحدة وبعدها اعتزل كما تريد .. فى هذه المهمة قم بتنظيف المكان تماما من أى بصمات .. كما يريد العميل تماما .. وبعد انصرافه ضع هذه الحافظة فى أى مكان بجوار الجثة .. المهم أن تعثر عليها الشرطة بسهولة وتعتقد أن صاحبها هو القاتل .

مرت دقيقة من الصمت كأنها ساعات .. سألته (نسرين) بعدها باستعطاف:

ـ هاه .. هل ستساعدنى ؟

التقط نفسا عميقا ثم زفره وقال :

. نعم .

صفقت بيديها بسعادة كبيرة ثم سمعته يقول :

. سأنفذ لك ما تريدين مقابل أن تنفذنى ما أريده .

أجابته بنعومة :

. أنا تحت أمرك .. ما الذى تريده منى ؟

●●●●●

بصمات

قال (شهاب) :

. أريد بصمات .

سألته (نسرين) :

. بصمات (شادى) ؟

ابتسم قائلا :

. لا .. بصمات رجل آخر .

قالت بارتباك :

. من هو؟ وكيف أحصل على بصماته ؟

قال (شهاب) وهو يسترخى فى مقعده أكثر وينظر إلى نافذة مكتبه بشرود:

. خطتك الجهنمية أعجبتنى .. وأريد تنفيذها مع رجل شرير .. شيطان من شياطين الإنس .. أريد الانتقام منه .

لقد أعطته (نسرين) الحل السحرى لمشكلته .. هو يريد الانتقام ولكنه لا يستطيع القتل .. الحل هو أن يورط القاتل فى جريمة قتل .. وهكذا يلقى الجزاء العادل على جريمة قتل ابنته ولكن فى جريمة أخرى لم ينفذها .. المهم أن يُسجن أو يُعدم .. أى حكم قضائى ضده سيريح عقل وقلب (شهاب) .

تنهد ثم أكمل قائلا :

. المشكلة أننى لا أملك بصماته ولا أى شىء يدل على هويته .. لذا أنا أريد منك هذه الخدمة .

ابتسمت فى دلال وقالت :

. أنا تحت أمرك .. ولكنى لا أعرف كيف أحصل على البصمات .

قال بثقة :

. سأعلمك كل شىء .

ابتسمت ابتسامة عذبة وقالت :

- حسنا .. أريد تعلم ذلك حقا .. لأنى أريد الحصول على بصمات (شادى) أيضا .

ضحك قائلا :

- ألا تكفيك حافظة نقوده فى مكان الجريمة ؟

لوت (نسرين) شفتها السفلى وهزت كتفيها قائلة :

- ربما يقول فى دفاعه عن نفسه أن المجنى عليه هو الذى سرقها منه .. أو أن أحدا آخر قد سرقها ووضعها بجوار الجثة ليورطه .. وهذه هى الحقيقة ! .. أما وجود البصمات على سلاح الجريمة أقوى من أى دليل آخر .. لذا أريدك أن تعلمنى كيف أحصل على بصماته وسوف أعود إلى منزله من أجل الحصول عليها .. وربما أُعيد له حافظة نقوده .. إن البصمات تكفى .

مد يده نحوها وصافحها قائلا :

- اتفقنا .. أنا سأضع لك بصمات (شادى) فى مسرح جريمة .. وأنت تحصلين لى على بصمات قاتل ابنتى .

•••••

تعلمت (نسرين) من (شهاب) كيف تجعل (شادى) يترك بصماته على مواد معينة كالزجاج .. وكيف ترفعها وتحتفظ بها .

ذهب (شهاب) معها إلى منزل القاتل .. وانتظر ظهوره وأشار عليه لتعرفه جيدا ثم تركها لتفكر فى طريقة مثالية للوصول له والحصول على بصماته .

ذهبت (نسرين) إلى منزل (شادى) وحصلت على ما تريد من بصمات وأعادت له ما سرقته منه .. وكان الشاب سعيدا برجوعها وسعيدا أكثر برجوع حافظة نقوده .

فى اليوم السادس .. أعطت (نسرين) بصمات (شادى) لـ (شهاب) .. فسألها عن البصمات الأخرى فقالت :

- لم أفكر بعد فى طريقة مُثلى لدخول المنزل والحصول على بصمات ذلك

صاح بغضب :

.فكرى بسرعة .. الوقت ينفد منا .

.سأحاول اليوم .

صمت لثوان ثم قال لها :

.جاءتني فكرة جيدة .. تظاهري بأنك مندوبة مبيعات .. لن يشك فى ذلك فعدد مندوبى المبيعات صار أكبر من السكان أنفسهم .. احملى حقيبة بها بضائع متنوعة تخص الرجال .. تحدثى معه بكل نعومة وميوعة ودلال وإثارة وإغراء .. سوف يُدخلك على الفور إلى منزله .. اشربى معه أى مشروب بارد .. ثم اطلبى منه أى شىء حتى لو كان منديل أوكارت شخصى أو ورقة وقلم .. المهم هو أن يقوم من مكانه ويذهب لإحضاره .. أو.. اسكبى عليه المشروب فيضطر لتركك من أجل تغيير ملابسه .. فى هذا الوقت تقومين برفع بصماته من على كوبه .. وتحتفظين بها كما علمتك .

أجابته بإنبهار :

.فكرة جيدة ! .. سأحاول تنفيذها .

.نفذيها .. وبسرعة .. الوقت يا (نسرين) .. الوقت !

.لا تقلق .

ربت على كتفها وقال :

.انتبهى لنفسك .. وإذا حدث أى شىء يهدد حياتك اتصلى بى فى الحال.

فوجئ بها تحتضنه وهى تقول :

.اطمئن .

شعر كأنه يحتضن ابنته (سلمى) فاجتاحه شعور قوى بالقلق عليها فدفعها بهدوء عنه وقال لها ناظرا إلى عينيها :

.إذا كنتِ تشعرين بأى خطر فلا تقومى بهذه المهمة وسوف أتصرف أنا .

.لا تقلق علىّ .

تركها وذهب فى مهمة تنظيف من أجلها .. ليضع فى نهاية عمله بصمات (شادى) .. وينفذ الجزء الخاص به من الاتفاق .

•••••

ـ س : هل حدث أن قمت بتنظيف جريمة ومع ذلك توصل رجال البحث الجنائى للقاتل من خلال أدلة أو بصمات تركتها خلفك دون قصد ؟

ـ ج : لا أبدا .. لم يحدث هذا معى .. فأنا فى غاية الدقة والتنظيم .. لكنه حدث مع زملاء آخرين فى نفس المهنة .

•••••

عندما عاد (شهاب) من مهمته .. وجد (نسرين) فى منزله تجلس فى غرفة المعيشة تلاعب ابنه (سمير) .. تذكر ابنته (سلمى) عندما كان يجدها فى انتظاره .. مع أخيها .

اندفع الطفل نحوأبيه وقال له :

ـ أنا أحب (نوس نوس) جدا وأحب اللعب معها .

سأل الأب ابنه بدهشة :

ـ من (نوس نوس) ؟

نهضت (نسرين) قائلة بابتسامة عذبة جذابة :

ـ هذا هو اسم التدليل الذى أطلقه علىّ .. يرى أن اسم (نسرين) صعب النطق .

ابتسم (شهاب) وهو يتأمل ابنه الذى تعلق بالفتاة بهذه السرعة .

قالت له وهى تتجه نحوالمطبخ :

ـ دقائق والطعام يكون جاهزا .

قال (شهاب) بدهشة :

ـ طعام !

قال (سمير) وهو يمسك بنطلون أبيه ويهزه :

ـنعم .. لقد طبخت لنا .

ابتسمت الفتاة وقالت بخجل :

. أتمنى أن يعجبكما طبيخي .

قال الطفل وهو يجذب أبيه من بنطلونه :

. هيا يا أبى .. لنأكل .

قال (شهاب) بلهجة صارمة :

. لا .. هناك كلام مهم سنقوله فى المكتب قبل أى شيء .

ثم جذب يد (نسرين) بقوة ودخلا المكتب .. وهناك سألها على الفور بمجرد إغلاقه الباب :

. هل حصلت على البصمات ؟

. ليس بعد .

غضب (شهاب) وحطم الزهرية التى كانت بجواره على المكتب وقال :

. لمَ هذا التأخير ؟ الوقت ينفد منا .. المهمة سهلة جدا .. يمكننى القيام بها لولا أنه رأى وجهى يوم محاولتى قتله بالسيارة .. لو رآنى مرة أخرى وأمام باب منزله ربما يقتلنى على الفور .. أما أنت فتاة شابة جميلة جذابة مثيرة .. سيفتح لك الباب على الفور ويرحب بدخولك منزله .. ستشربين ما يقدمه لك .. ثم تتظاهرى بأن الكوب سقط منك بدون قصد .. يتركك .. تنتهزى الفرصة وتحصلى على البصمات .. هل هذا صعب ؟!

انحنت الفتاة وراحت تجمع حطام الزهرية المكسورة وهى تقول :

. لا .. ليس صعبا .

قال (شهاب) بغضب :

. وطالما انك تعترفين أنه ليس صعبا .. لماذا لم تفعليه ؟

وضعت الفتاة حطام الزهرية فى أحد الأركان ثم قالت كاتمة ضحكتها :

. كنت أمزح معك .

التفت لها قائلا بدهشة :

. ماذا تعنين ؟

انحنت لتخرج علبة كبيرة .. كانت أسفل المكتب .. وأعطتها له قائلة بابتسامة لذيذة :

ـ لقد أحضرت البصمات .

كان (شهاب) يريد أن يحتضنها فى تلك اللحظة من فرط سعادته لكنه لم يفعل .. قالت (نسرين) وهى تغمز بعينها :

ـ وعندى لك مفاجأة أخرى .

سألها مبتسما :

ـ ما هى ؟

أخرجت علبة أخرى من تحت المكتب وأعطتها له .. أمسكها بلهفة وسألها:

ـ ما هذا ؟

ـ افتح وستعرف .

وضع العلبة الأولى على المكتب .. ثم فتح العلبة الثانية ورأى ما بداخلها دون أن يلمسه و..

صاح مندهشا :

ـ حافظة نقوده !

ـ وبها بطاقاته وكروته الشخصية و..

ـ لماذا ؟

قالت بذكاء :

ـ لكى يصلوا لاسمه وعنوانه بسرعة .. لن يحتاجوا لعمل أى بحث فى قاعدة بيانات الأمن ومقارنة البصمة مع ملايين البصمات .. البيانات كلها موجودة فى البطاقات .. الاسم : غسان زكريا سعد النابلسى .. العنوان : ٤٨ شارع الحرية الحمراء .. وهكذا سنوفر الكثير من الوقت والمجهود على الشرطة .. ويتم القبض عليه قبل أن يلوذ بالفرار للخارج .

قال (شهاب) منبهرا بما فعلته وبتفكيرها الشيطانى :

ـ أنت ممتازة !

ظهرت ابتسامة جذابة على شفتيها الرقيقتين وقالت بفخر :

- تلميذتك النجيبة .

ثم سألته :

- هل وضعت بصمات (شادى) فى مكان الجريمة ؟

- نعم .. اطمئنى .

حمل (شهاب) العلبتين بمنتهى السعادة ونظر إلى هاتفه بلهفة وترقب .. منتظرا أول جرس يأتيه من أجل مهمة جديدة ..

مهمة تنظيف أخيرة ..

لكنها لن تقتصر على التنظيف فقط .

بل سيضع بصمات جديدة فى مكان الجريمة ..

بصمات قاتل ابنته .

غسان زكريا سعد النابلسى .

●●●●●

المهمة الأخيرة

كان (شهاب) يتناول الطعام . الذى أعدته (نسرين) . مع ابنه ومعها .. عندما جاءه الاستدعاء .. ترك ملعقته على الفور ونهض متحمسا لمهمته الأخيرة ..

مباراة الاعتزال ..

حفل الوداع .

ساعة الانتقام .

ستكون هذه آخر مهمة تنظيف يقوم بها ثم يبدأ حياة جديدة بعدها .. بعيدا عن جو الجرائم والخطايا .. بعيدا عن القتل والسرقة والاغتصاب والغدر والخيانة .. بعيدا عن هذا الجو الخانق الملوث المليء بالآثام والذنوب ..

سيبدأ حياة جديدة يستنشق فيها هواء نظيفا نقيا .. يغسل عينيه بالتطلع إلى الخضرة والوجوه الحسنة .. بعيدا عن رؤية الدم والوجوه الميتة المقززة العفنة .

نظرت (نسرين) له برومانسية وأمسكت يده بحنان قائلة :

. انتبه لنفسك .

نفس الجملة التى كانت تقولها ابنته له ! ابتسم لها وربت على يدها الممسكة بيده .. قال (سمير) مبتسما له :

. اذهب لعملك .. لا تقلق علىّ .. فأنا سأجلس هنا مع (نوس نوس) نلعب سويا .

ربتت الفتاة على شعره الناعم وقالت للأب :

. اذهب أنت .. سأجلس معه حتى عودتك .

أخرج (شهاب) هاتفه الخاص بالعمل وقال بلهجة عملية :

. آلو.. أين ؟

●●●●●

س : ألم يخطر ببالك أن يكون المتصل ضابط شرطة .. ويريد الإيقاع بك ومعرفة شخصيتك ؟

ج : كان من الممكن حدوث ذلك فعلا .. ولكن .. عادةً من يأخذ رقمى لا يعطيه لأحد إلا من يثق فيهم فقط .. ثانيا : الرقم نفسه لا يورطني فى شىء .. ليس دليلا على أى شىء .. ثالثا : إذا علمت الشرطة اسمى وطبيعة عملى ورقمى .. سوف أغير الرقم فورا .

●●●●●

وصل (شهاب) لمسرح الجريمة .. وجد شابا فى انتظاره .. سأله :

. أين تركت بصماتك بالضبط ؟

. لا .. لقد مسحت كل شىء .. لا توجد بصمة واحدة فى المكان .

هذا يوفر الكثير على (شهاب) .. ما عليه الآن سوى أن يضع بصمات (غسان النابلسى) فقط .. سأله :

. والجثة ؟

نظر الشاب للجثة الموجودة على الأرض عند قدميه قائلا :

. أريدك أن تتخلص منها نهائيا .. هذا كل شىء .

ولكن (شهاب) لا يريد التخلص منها .. إنه يحتاج الجثة بشدة .. لكى يثبت وجود جريمة قتل .

لا توجد جثة .. لا توجد جريمة قتل .

قال (شهاب) :

. حسنا .. سوف أخلصك من الجثة .. فلنحسب تكاليف هذه العملية .. سوف تدفع من أجل الـ ..

قاطعه الشاب قائلا :

. سأدفع لك ما تريد .. فقط خلصنى منها الآن .

كيف يتخلص (شهاب) من هذه الورطة ؟! إنه لا يريد التخلص من الجثة .. هل يطلب من الشاب الرحيل ؟ .. قال له :

- ادفع لى وارحل أنت .. وأنا سوف أقوم باللازم .

- لا .. لن أدفع لك حتى تدفنه أمام عينى .

يا لها من ورطة !

•••••

سمع الشاب صوت سرينة الشرطة من مكان قريب .. فأخرج مسدسه على الفور من جيب بنطلونه وصوب فوهته ناحية رأس (شهاب) وقال له بغضب :

- هل أبلغت عنى الشرطة ؟

رفع (شهاب) يديه فى استسلام :

- لا طبعا .. لماذا أبلغ عنك ؟ .. أنا معك هنا .. أنا أنظف جريمتك .. أنا شريكك فيها .

فكر الشاب فيما سمعه من فاه (شهاب) وبدا عليه قليل من الاقتناع بكلامه .. ثم اتجه إلى النافذة ونظر منها ثم عاد إليه وقال :

- إياك أن تتحرك من مكانك .

ثم خرج بسرعة وأغلق باب الحجرة من الخارج بالمفتاح .. نهض (شهاب) لينظر من النافذة ورأى سيارات الشرطة تقترب ..

فكر فى الهرب .. لكنه انتظر حتى يتأكد من شىء ما .

و..

كان تخمينه صحيحا .

لقد رأى سيارات الشرطة تجتاز المنزل وتكمل سيرها إلى نهاية الشارع .

إنذار خاطئ !

عاد إلى الجثة وهو سعيد لأنه تخلص من الشاب اللحوح .. الذى يريد أن يرافقه حتى يدفن الجثة .. وهو فى الحقيقة لا ينوى دفنها على الإطلاق .

نظر إلى وجه الجثة ..

هذا الوجه يعرفه جيدا ..

إنه وجه الكاتب الصحفى الجميل الذى يقرأ مقالاته يوميا .. اسمه (صلاح جبران) .

قال فى حزن وأسى :

.لماذا قتلك أيها المسكين ؟ أمِن أجل حفنة جنيهات سرقها منك أم من أجل كتاباتك الثورية أم ماذا ؟

فكر قليلا .. هل يتركه هكذا ويبلغ الشرطة عن مواصفات القاتل ؟

ولكن .. لا يوجد دليل .. من سيصدق كلامه إذن ؟ .. لقد أخبره الشاب أنه قام بتنظيف كل البصمات .

نظر إلى الجثة وقال كأنها تسمعه :

.أنا أعرف قاتلك الحقيقى .. وسوف أنتقم لك يوما ما إن أتيحت لى الفرصة .. أما الآن دعنى أنتقم لابنتي .. وأدّعى أن قاتلك هو(غسان) الوغد .

وراح يضع البصمات وحافظة النقود بجوار الجثة ثم خرج .

ومن أقرب هاتف عمومى اتصل بالشرطة وقال :

.لقد سمعت صوت إطلاق نار من منزل الأستاذ (صلاح جبران) الصحفى .. ورأيت رجلا يهرع خارجا من منزله .. كان مرتبكا ويحمل فى يده مسدسا .. إنه يشبه إلى حد كبير ذلك المدعو(غسان زكريا النابلسى) .. هل تريد عنوان منزل الأستاذ (صلاح) ؟ .. أنا ؟ .. أنا فاعل خير .

●●●●●

اتهام

فى اليوم السابع .. سمع (شهاب) نغمة الباب .. لابد أنها (نسرين) لأنها قد اتصلت به وأخبرته أنها قادمة لزيارته .. فتح لها الباب فرأى ابتسامة سعادة كبيرة على وجهها وهى تقول :

ـ لدى أخبار حلوة .

اقتربت منه وقبلته من وجنته كما كانت تفعل ابنته (سلمى) ثم دخلت .. تحسس موضع القبلة بأصابعه ثم قال لها :

ـ وأنا أيضا .. ادخلى .

اندفع (سمير) نحوها فاردا ذراعيه وقال :

ـ أهلا (نوس نوس) .

قبلته من وجهه الصغير قبلات كثيرة تفيض بالحب والحنان ثم قالت له :

ـ اذهب شاهد التليفزيون وسوف ألحق بك .

أطاعها الطفل على الفور .. فالتفتت لأبيه وقالت له :

ـ لقد قُبض على (غسان النابلسى) بتهمة قتل الكاتب الصحفى (صلاح جبران) .

قال (شهاب) بسعادة كبيرة :

ـ يا لها من أخبار جميلة ! أشعر براحة نفسية كبيرة الآن .

سألته محاولة التخمين :

ـ هل كانت هذه هى مهمة الأمس ؟ كان (صلاح جبران) هوالـ ...

أجابها بحسرة :

ـ نعم هو.. للأسف .

ـ وما هوالخبر الحلو الذى لديك ؟

.لقد تم القبض على (شادى) .

قالت مبتسمة :

.خبر قديم .

لم تمر ثانية قبل أن تكمل قائلة بفرحة غامرة :

.ولكنى كلما سمعت نفس الخبر أشعر بالسعادة .

ثم سمعا صوت نغمة الباب .. قالت (نسرين) بتوتر :

.هل تنتظر أحدا ؟

أجابها بقلق :

.لا .

سألته خائفة :

.من إذن ؟

اتجه إلى التليفزيون وجذب الريموت كونترول من يد ابنه .. وضغط على بضع أرقام بترتيب معين فظهرت على الشاشة . بدلا من فيلم الكارتون . صورة لما تنقله كاميرا المراقبة التى وضعها على الباب بالخارج .

حدق فى الشاشة وقال متعجبا :

. الشرطة !

•••••

.س : هل شك أحد جيرانك فى طبيعة عملك .. راودته الشكوك تجاهك ؟

.ج : نعم .. حدث ذلك كثيرا .. وكنت أجيب على أسئلتهم الفضولية بأننى رجل أعمال .. لدى سفريات عديدة لأماكن كثيرة لأتم صفقات .

.س : صفقات من أى نوع ؟ هل تقول لهم أنك تصدّر مثلا ..

. دعنى أسألك أنا هذه المرة .. س : ألا ترى أنك تسألني يا حضرة الضابط أسئلة ليس لها أى علاقة بالتحقيق فى جريمة القتل ؟ .. أشعر أن هذا ليس تحقيقا .. كأنه حوار لمجلة (خمن من الجانى ؟) .. اقرأ فى هذا العدد (حوار مع منظف جرائم) .

. ج : المسألة أنك أول منظف جرائم يتم القبض عليه .. لذا نريد معرفة معلومات أكثر عن طبيعة عملك .. وحياتك الشخصية .. ميولك وأهوائك .. وطريقة تعاملك مع الناس .. لنستطيع تكوين نظريات كاملة عن شخصية منظف الجرائم .. قد تمكننا هذه النظريات من التعرف على بمنظفى الجرائم فى المجتمع ونقوم بالقبض عليهم .

. من الصعب معرفة بمنظفى الجرائم .. ومن المستحيل القبض عليهم واتهامهم بأى شىء .

. لماذا ؟

. لأنهم أناس عاديون جدا لا تستطيع تمييزهم عن الآخرين .. ولأنهم شديدوا الحرص .. لا يتركون خلفهم بصمة .. لا يمكن التوصل إليهم أبدا .

. لكننا استطعنا الوصول لك والقبض عليك .

•••••

قالت (نسرين) بقلق :

. الشرطة .. لماذا ؟

قال (شهاب) :

. لا تقلقى .. اختبئى فى احدى الغرف وخذى (سمير) معك .. لا تخرجا لأى سبب .

نفذت الأمر على الفور .. وعندما اطمئن (شهاب) اتجه للباب وهو يصيح:

. سأفتح لكم الآن .. لا داعى من الاقتحام .

وعندما فتح الباب .. قال أحد الضباط له :

. هل أنت المدعو(شهاب على عثمان أسامة جوده) .. والشهير بـ (شهاب جوده) ؟

أجابه بتوتر :

. نعم .. أنا هو.

تقدم الضابط نحوه وقال بلهجة صارمة :

ـ معنا أمر بالقبض عليك .

قال (شهاب) بفزع :

ـ لماذا ؟ أنا لم أخالف القانون فى أى شيء .. ولست مديونا لأحد .. سددت فواتير الكهرباء والماء والتليفون والنظافة ولمجاري ودفعت اشتراك المحمول والقنوات الفضائية والإنترنت ودفعت جميع الضرائب بداية من ضريبة المواطنة حتى ضرائب المال العام والهواء .

قال الضابط :

ـ أنت متهم فى جريمة قتل .

صاح (شهاب) بكل دهشة :

ـ ماذا ؟

•••••

ـ س : ما هو قولك فيما هومنسوب إليك أنك قتلت الكاتب الصحفى (صلاح جبران) ؟

ـ ج : لم أقتله .. لقد قتله (غسان زكريا سعد النابلسى) .

ـ س : كيف عرفت ؟

ـ ج : هذا ما يقوله الناس .

ـ آه .. أنت سمعت خبر القبض عليه ولم تسمع خبر الإفراج عنه !

ـ أفرجوا عنه ! كيف ؟! .. لقد سمعت أن بصماته موجودة فى مكان الجريمة .. وأنهم وجدوا أيضا أشياء تخصه .

ـ أنا لا أعرف كيف وصلتك هذه الأخبار .. ولكنها صحيحة .. فعلا وجدنا ما يدل على أنه القاتل .. ولكن الرجل كان لديه حجة غياب قوية عن مسرح الجريمة وشهود بالملايين .. الرجل كان يشارك فى احتفال عالمى تنقله أكثر من قناة بالصوت والصورة على الهواء مباشرة على بعد مئات الكيلومترات من مسرح الجريمة وقت حدوثها .

ـ .... !!!!!!!!!

ـ ولقد أبلغ فى وقت سابق فى محضر رسمى عن سرقة أشياء من منزله مثل حافظة نقوده .. أما البصمات .. لم نجد له بصمة واحدة .. أما أنت فوجدنا بصماتك فى مسرح الجريمة .

ـ كيف ؟ هذا مستحيل !

ـ س : أين كنت وقت حدوث الجريمة ؟

ـ ....

●●●●●

النهاية

قال المحامى لـ (شهاب) :

. موقفك ضعيف جدا .. لابد أن تخبرنى بالحقيقة لأستطيع مساعدتك .

. ليس لدى شىء لأقوله .

. كيف وجدوا بصماتك فى مسرح الجريمة ؟

. ...

. أين كنت وقت وقوع الجريمة ؟

. ...

كيف يخبر المحامى أنه كان موجودا بالفعل فى مسرح الجريمة ؟ كيف يخبره أنه ظل هناك لفترة ؟ كيف يخبره أنه كان يضع بصمات هناك ؟ كيف يخبره أنه كان موجودا فى الوقت الذى ينحصر بين وقت وقوع الجريمة واكتشاف الشرطة لها ؟

سأله محاميه بحنق :

. هل ستظل صامتا هكذا ؟

قال بلهجة أبوية معذبة :

. أريد أن أرى ابنى .

•••••

فى السجن ..

جلس (شهاب) على مقعد من المقاعد الكثيرة الموجودة خلف جدار زجاجى عازل يفصله عن الزائرين فى غرفة الزيارات بسجن المدينة .. أمسك سماعة الهاتف ليستطيع سماع من يجلس أمامه .. قالت (نسرين) عبر السماعة التى تمسكها :

. كيف حالك ؟

أجابها بصوت خافت :

ـ بخير .

ثم سألها بضيق :

ـ لماذا لم تحضرى (سمير) معك ؟ .. لقد وحشنى جدا .

ـ لا تقلق عليه .. سأهتم به طوال فترة وجودك بالسجن .. المسألة أننى لم أرد أن يدخل هنا ويراك هكذا .

ـ أنا فى قمة الحيرة .. أكاد أجن .. لا أعرف كيف حدث هذا .. كيف اختفت بصمات (غسان) من المكان ؟ هل أرسل ذلك الشاب القاتل منظفا آخرا بعدى ومسح البصمات التى وضعتها ؟ .. لكن .. كيف وجدوا بصمات لى هناك ؟ .. أنا متأكد أنى لا أخلع قفازى أبدا أثناء العمل .

تنهدت (نسرين) وقالت :

ـ دعك من هذه الحيرة .. سوف أخبرك بكل شىء .

قال (شهاب) مندهشا :

ـ ماذا ؟

ـ لم يعد هناك وقت .. سوف أسافر للخارج بعد قليل .. لكى ألحق بأبى .. أتدرى من هو أبى ؟ .. إنه (غسان النابلسى) .

كانت مفاجأة مذهلة لأبعد الحدود .. قال (شهاب) :

ـ أنت ابنة القاتل !

ابتلعت ريقها بصعوبة .. قبل أن تستجمع شجاعتها وتعترف قائلة :

ـ هو لم يقتل ابنتك .. (سلمى) .. صديقتى العزيزة .. أنا التى قتلتها .

صاح بكل ذهول الدنيا :

ـ أنت !

ثم انتبه إلى الميدالية التى تعبث بها بين أصابعها .. كانت على شكل جمجمة .. لقد رآها من قبل .. وجدها فى مسرح جريمة قتل ابنته وأعطاها لـ (غسان) معتقدا أنها تخصه .. الآن علم أنها تخص القاتلة الحقيقية .. تخص الابنة

(نسرين) ..التى قالت له :

ـ لم أقصد ذلك .. كنا نذهب إلى ذلك المنزل المهجور ونمرح سويا هناك .. وجدنا مسدسا تركه بعض الشباب المتهور .. كنت أعبث بالمسدس فانطلقت الرصاصة القاتلة .. اتصلت بأبى لينقذنى من هذه الورطة .. فاتصل هو بك وانتظرك حتى أتيت .. لم أكن أعلم أنها ابنتك إلا عندما رأيت صورتها فى مكتبك .. وعندما اتصلت بك لأول مرة .. اتصلت بك كمنظف جرائم .. أخذت الرقم من والدى وليس من (شادى) كما أخبرتك .. (شادى) نصب لى الفخ فاتصلت بك لتنقذنى .. ولقد أنقذتنى بالفعل ولهذا فأنا أدين لك بحياتى .. حاولت التعرف عليك والتقرب منك حتى أستطيع توريط (شادى) فى جريمة قتل .. وبالفعل خلصتنى منه .. وهذه خدمة عظيمة أخرى فى رقبتى لك .. لكنك طلبت منى المستحيل فى المقابل .. طلبت منى أن أسلمك أبى البريء .. لتورطه فى جريمة لم يرتكبها .. من أجل الانتقام منه فى جريمة لم يرتكبها أيضا .. أنا التى أستحق ما تريد فعله بأبي .. ولكننى لا أستطيع تسليم نفسى .. ولا أستطيع تركك حرا طليقا تريد الانتقام من أبى .. وربما تعرف الحقيقة يوما وتنتقم منى .. لهذا قررت أن أعطيك بصماتك على أنها بصمات أبى .

صاح وهو لا يصدق ما يسمعه :

ـ أنا الذى وضعت بصماتى بنفسى !

حاولت السيطرة على انفعالاتها وقالت بهدوء :

ـ بالضبط .. لقد علمتنى كل شىء .. وأنا تلميذتك النجيبة كما تعلم .. لقد أخذت بصماتك واحتفظت بها وأعطيتها لك .. وأعطيتك حافظة نقود أبى لتطمئن أكثر عندما يتم القبض عليه .. وطلبت من أبى أن يذهب لمكان عام ليثبت حضوره هناك ولا يتم اتهامه فى الجريمة .. وجئت لمنزلك لأخبرك بالخبر الحلو! ولأتأكد من وجودك أثناء وصول الشرطة .. فأنا التى اتصلت بهم لأخبرهم بمكان منزلك .

صاح بكل ذهول الدنيا :

ـ أنت فعلت كل هذا !

نهضت وهى تنظر فى ساعتها بقلق .. ثم قالت :

ـ سأنصرف الآن .. لكى ألحق بالطائرة .. لا تقلق على (سمير) ابنك .. سيسافر معى .. لقد جهزت كل شىء له .. إنه أخو صديقتى العزيزة وسوف أراعيه من أجلها .. وردا لجميلك عندما أنقذت حياتى .

ثم طبعت قبلة على أطراف أصابعها ثم وضعتها على الزجاج العازل قائلة ببرود قاتل :

ـ الوداع .

نهض (شهاب) من مقعده بفزع وصاح :

ـ انتظرى أيتها الحقيرة .. إياك أن تنصرفى .. إياك أن تأخذى ابنى معك .. إياك .

ضرب بقبضتيه بقوة على الزجاج وهو يصيح بأعلى صوت لديه :

ـ امسكوها .. إنها القاتلة .. إنها القاتلة .

ثم راح يشير ناحيتها بعصبية .. أما هى فاتجهت بمنتهى الهدوء ناحية باب الخروج .

اقترب حراس الأمن منه لتهدئته والسيطرة عليه .. بينما هويصيح بقوة:

ـ أوقفوها .. لقد اختطفت ابنى .. ابنى (سمير) .. أوقفوها .

لم تسمع (نسرين) حرفا مما قاله بعد ذلك لأنها كانت قد انصرفت بسرعة.

تمكن الحراس من السيطرة على (شهاب) وتقييد يديه خلف ظهره .. ودفعوه بعنف وقسوة نحوباب الخروج من حجرة الزيارات .. إلى داخل السجن.

قال (شهاب) باستسلام :

ـ سوف أعترف بكل شىء .. المهم أن تمسكوها .. سأعترف .. سأعترف .

•••••

.فُتح المحضر اليوم ٢٩ / ١١ / ٢٠٥٢ الساعة ٩,٣٠م من سراى النيابة

نحن / (محمد بهاء السيد الديب) وكيل النيابة

(مصطفى شاهين) سكرتير التحقيق

س : ما هو اسمك وسنك وعملك ومحل إقامتك ؟

*****

(تمت بحمد الله)

منظف الجرائم

هو شخص يقوم بتنظيف مسرح الجريمة من اي بصمات او ادلة قد تشير إلى الجاني مقابل أجر ..

و في بعض الأحيان يقوم بالتخلص من الجثة..

محمد رضا عبد الله

كاتب مصرى مواليد ١٩٨١ تخرج من جامعة المنصورة .. بدأ حياته الأدبية بكتابة سلسلة (حالات خاصة) و التي تدور أحداثها حول الطبيب النفسي (ياسين العوضى) و الحالات التي يعالجها و تأثير عمله على حياته الخاصة .. نالت السلسلة إعجاب القراء فى شتى أنحاء الوطن العربى .. تبعها الكاتب بسلسلة أخرى تحمل اسم (الصرخة) و صارت تنافس أختها الأولـ بأجوائها المثيرة المرعبة المليئة بالمفاجات .. اليوم نقدم لك أول رواية طويلة للكاتب .. وتدور أحداثها في المستقبل .. حيث تنتشـ الجريمة و تزيد معدلاتها .. فكان لابد أن تظهر مهنة مثل (منظف جرائم) .

